تراجم أعيان القرن الثالث عشر

وأوائل الرابع عشر

تأليف المرحوم

أحمد تيمور باشا

(١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م)

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد أحمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٣٧

تراجم أعيان القرن الثالث عشر
وأوائل الرابع عشر

تأليف المرحوم

أحمد تيمور باشا

—(١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م)—

ملتزم الطبع والنشر
عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨
المراسلات : مصر — صندوق بوستة الغورية رقم ١٣٧

حقوق الطبعة محفوظة
لورثة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة عبد الله نديم افندي

هو عبد الله بن مصباح بن إبراهيم ، الأديب الألمعى ، والخطيب المفوه ، نادرة عصره ، وأعجوبة دهره . ولد أبوه ببلدة الطيبة بمديرية الشرقيـة فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٤ ثم انتقل إلى ثغر الإسكندرية ، فـكان فى مبتدا أمره نجارا للسفن بدار الصناعة ، ثم اتخذ له مخبزًا لصنع الخبز ، ومات بالقـاهرة فى ٤ رجب سنة ١٣١٠ . وولد المترجم بالثغر المذكور فى عاشر ذى الحجة سنة ١٢٦١ ونشأ فى قلة من العيش ، ومالت نفسه إلى الأدب ، فاشتغل به واسترشد من أهله ، وطالع كتبه ، وحضر دروس الشيوخ بمسجد الشيخ إبراهيم باشا . وكان قليل الاعتناء بالطلب ، غير مواظب على الدرس ، إلا أن الله وهبه ملكة عجيبة وذكاء مفرطاً ، فبرع فى الفنون الأدبية ، وكتب وترسل ونظم الشعر والزجل ، وطارح الإخوان ، وناظر الأقران . ثم بدا له أن يتعلم صناعة للتكسب ، فتعلم فن الإشارات البرقيـة ،

واستخدم فى مكتب البرق ببنها العسل ، ثم نقل إلى مكتب القصر العالى ، سكنِ والدة الخديو أيام ولاية ابنها إسماعيل باشا ، وبقى به مدة عرف فيها كثيراً من أدباء القاهرة وشعرائها ، مثل الأمير محمود سامى باشا البارودى ، ومحمود افندى صفوت الساعاتى ، والشيخ أحمد وهبى . ثم غضب عليه خليل أغا ، أغا القصر ، وكان فى سطوة لم يبلغها كافور الأخشيدى ، فأمر بضربه وفصله . فضاقت به الحيل ورقت حاله ، حتى توصل إلى الشيخ أبى سعدة عمدة بداوى بمديرية الدقهلية ، وأقام عنده يقرئ أولاده ، ثم تشاحنا وافترقا على بغضاء . واتصل بالسيد محمود الغرقاوى ، أحد أعيان التجار بالمنصورة ، فأحسن منزله ، وفتح له حانوتا لبيع المناديل وما أشبهها . فكانت نهاية أمره أن بدد المكسب ورأس المال ، وجعل يجوب البلاد وافداً على أكابرها ، فيكرمون وفادته ويهشون لمقدمه ، لما رزقه من طلاقة اللسان ، وخفة الروح ، وسرعة الخاطر فى النظم والنثر ، فيطوف ما يطوف ثم يأوى إلى دار الغرقاوى بالمنصورة . إلى أن ورد طندتا سنة ١٢٩٣ ، واتصل بشاهين باشا كنج مفتش الوجه البحرى إذ ذاك ، ولاتصاله به سبب لا بأس من ذكره : وهو أن الباشا المذكور كان بينه وبين الشيخ محمد الجندى أحد العلماء بالمسجد الأحمدى صحبة وتزاور ، وكان الشيخ يتعشق غلاما حلاقا ، مليح الشكل ، حسن الصوت ،

فأمره مرة أن يغنى بحضرة الباشا ، فغنى بقول المترجم :

سلوه عن الأرواح فهى ملاعبه   وكفوا إذا سل المهند حاجبه
وعودوا إذا نامت أراقم شعره   وولوا إذا دبت إليكم عقاربه
ولاتذكروا الأشباح بالله عنده   فلو أتلف الأرواح من ذا يطالبه
أراه بعينى والدموع تكاتبه   ويحجب عنى والفؤاد يراقبه
فهل حاجة تدنى الحبيب لصبه   سوى زفرة تثنى الحشا وتجاذبه
فلا أنا ممن يتقيـــه حبيبه   ولا أنا ممن بالصدود يعاتبه
ولو أن طرفى أرسل الدمع مرة   سفيراً لقلبى ماتوالت كتائبه

وكان كثيرا ما يتغنى بها ، فطرب الباشا طربا شديدا ، واستظرف قائل الأبيات وتمنى رؤيته ، فأرسلوا له بالحضور ، فلما حضر إلى طندتا وواجهه ، استقبح صورته ، إلا أنه أعجبه ظرفه وأدبه ، ومال إليه ، فاتخذه نديما لايمل ، ورفيقا حيث حل. فلما استقرت به النوى وملأ يده من الباشا ، استعداه على أبى سعدة الذى كان يقرئ أطفاله ، وادعى أنه أخر له ثلاثين ديناراً من أجرة التعليم ، فأمر الباشا بإشخاصه إلى طندتا ، وألزمه أن يدفع للمترجم مائة ، فدفعها عن يد وهو صاغر . وكان مجلس شاهين باشا محط رحال الأدباء ومنتجع الشعراء والندماء ، لايخلو من مطارحات أدبية ، ومساجلات شعرية ، وللمترجم بينهم المقام الأعلى ، والقدح المعلى . وحسبك ما وقع له مع طائفة (الأدباتية) وهم مشهورون

بالقطر المصرى يستجدون الناس فى الطرق بإنشاد الأزجال والضرب على الطبل ، وأغلب أزجالهم مرتجلة فى مقتضى الحال . فكان للمترجم معهم يوم مشهود ، ذكره فى مجلة الأستاذ ومنها نقلناه . قال :

«اتفق لى أنى كنت بمولد سيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه سنة ١٢٩٤ هجرية وكان معى السيد على أبو النصر والشيخ رمضان حلاوة والسيد محمد قاسم والشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهورى ، فجلسنا على قهوة الصباغ نتفرج على أديب وقف يناظر آخر . فلما فطن أحدهما لانتقادنا عليهما استلفت أخاه إلينا وخصانا بالكلام ، فأخذا يمدحاننا واحدا فواحدا ، إلى أن جاء دورهما إلىّ، فقال أحدهما يخاطبنى :

انعم بقرشك يا جندى　　والا اكسنا امال يا افندى
الا أنا وحياتك عندى　　بقى لى شهرين طول جيعان

فقلت على سبيل المزح معه :

أما الفلوس أنا مديشى　　وانت تقول لى ما مشيشى
يطلع علىّ حشيشى　　أقوم أملص لك لودان

ثم أخذنا نتبادل الكلام نحو ساعة ، حتى غلبا عند ما فرغ محفوظهما ، فلما قمنا وتوجهنا إلى منزل المرحوم شاهين باشا وكنا نازلين عنده جميعا ، أخبره السيد على أبو النصر بما كان منى مع

الأديبين ، فلما أصبحنا استدعى شاهين باشا شيخ الأدبية وطلب منه أن يستحضر أمهر الأدبية عنده ، ووعده أنهم إن غلبونى يعطهم ألف قرش وإن غلبتهم يضرب كل واحد منهم عشرين كرباجاً ، فرضى بذلك . واستحضر الشيخ داود والحاج إسماعيل الشهيرين بعمل الزجل وإنشاده ارتجالا فى أى غرض ، واستحضر معهما ستة من أشهر الحفظة المقتدرين على الارتجال أيضاً ، وعقد الباشا لذلك مجلساً أمام بيته بطنطا وأجلسنى بينه وبين المرحوم جعفر باشا مظهر . وقد وقف الناس ألوفا والعساكر تدفعهم عنا، ثم ابتدأ الشيخ فقال :

أول كلامى حمد الله　　ثم الصلاة على الهادى
ماذا تريد يا عبد الله　　قدام أميرنا وأسيادى

فقلت :

إنى أريد احمد ربى　　بعد الصلاة على المختار
وإن كنت تطمع فى أدبى　　أسمعك حسن الأشعار

فقال :

دعنا من الأدب المشهور　　وادخل بنا باب الدعكه
ندخل على اسيادنا بسرور　　ونغنم الخير والبركه

فقلت :

هيا احتكم فى البحر وشوف　　فن النـديم ولّا فنك
دلوقت تسمع يامتحوف　　أحسن أدب وحياة دقنك

فقال : هات مدح فى الحضرة على قد :

تعمل عمايلك يا منصان   يا ابو الشفيفة العسليه
يا صاحب الحجل الرنان   ودى الأمور الحِيَليه
ماذا تريد من دى الولهان   قل لى واسعف
أحسن أنا من خمر الحان   قصدى أرشف
وإن كنت تسمح يا ابو الخير   يبقى الوصال الدوا ليّه

فقلت :

المجلس العالى محمود   فيه الأمارا والأعيان
واليوم دا يوم مشهود   خلعت عليه حلة إحسان
شاهين باشا فيه موجود   حظو ازهر
أما المدير هذا المسعود   جعفر مظهر
فانه فى الناس معدود   من ضمن أرباب العرفان

(دور)

مجلس عليه حسن مهابه   كأنه مجلس سلطان
والحاضرين أهل نجابه   وينقدوا قول الإنسان
اترك بقى شرب الغابه   وانشد نسمع
وإن كان تغنى بربابه   تطرب مجمع
حسن الكلام مثل سحابه   تمطر على شجر البستان

فقال :

القصد منك يانديمنا   تعمل زَجل هيله بيله

إلا انت دلوقت غريمنا   قصدى احدفك بالقلقيله
وإن كنت تجهل تقريمنا   اسأل عنا
إوعا تعيب فى تكليمنا   واحذر منا
أحسن أوديك لعظيمنا   يشيّلك ألفين شيله

فقلت :

انتا صغار لسّه نونو   وفى الزجل منتش مجدع
اتبع نديم تلقى فنونو   تأتيك من المعنى الأبدع
أما عظيمك وجنونو   يا كل نفسه
وان كان يعارض بمجونو   يطلب عكسه
لأن فنى وشجونو   لكل متعنتظ يردع

وبعد أن دار الكلام بينى وبينه فى كثير من هذا الوزن ، قام الشيخ داود وقال :

قصدى أقول كلاما   يحكى لضمات الزهور   هات اشجنا بنظام
من فن كان وكان
ادخل بنا لمعان   كالبكر من خلف الستور   فى قلب متحلّ
فى النظم بالإتقان

فقلت :

اسمع كلام نديم   من طيه كل سرور   واعقل نصيحة حبر
يدعوك للعرفان

لا تستخف بخصم　لو كان من أوهى الطيور　واصفح فكل صفوح
يعلو على الأعيان
واخش اللئيم دواما　فاللؤم داع للشرور　واحفظ مودة حر
فى عهده ما خان
لا تصطحب بوضيع　ينزلك عن سرج الظهور　واصحب أخىّ شريفا
واطلب رضا الإخوان
وانزل ببيت كريم　إن كنت ضيفا فى العبور　واسمع سؤال فقير
أودى به الحرمان
هذى نصيحة حر　قد جرب الدهر الجسور　إن كان يعجب هذا
أولا فخذ تبيان
فالبحر بحر لآل　إن قلدت زانت النحور　والفكر فكر ذكى
لا يعرف النسيان

فأعرض عن كان وكان عجزا منه ، وقال : هات فخرا على قد

ياصبا نجد ورامه　هجت للمشتاق وجدا
كل صب فى غرامه　ما اشتكى فى الليل سهدا
عنفونى عذبونى　ذقت فى التعذيب شهدا
والهوى أحرق ضرامه　كل أحشائى وقلبى

فقلت :

فخر مثلى فى بيانه　والغبى يفخر بماله

والأدب أحسن صفاتى فالذكى حسنو كماله
واللبيب يظهر بعلمو والغلام مجده جماله
كل قول المرء يفنى غير محمود المآثر

فقال:

نخر مثلى نكايت تضحك الشيخ العبوس
الحس المعنى برجلى واشرب القول بالكؤس
لا تلم من قال حظى واتناسى بالفلوس
لا تقل زيد وعمرو ليس فى النحو مفاخر

فقلت:

الفلوس حظ المفلس والجعيدى والحرامى
والعلوم روض الأكابر لطفها فى العقل نامى
والمضاحك والمساخر مالها دخل ف كلامى
كل مضحك بين قومو مسخرة للمجد خاسر

فقال:

ساعة الحظ وحيده عند محبوب وحان
لا أبالى يوم أنسى بالمعانى والبيان
منتهى قصدى فلوس تملا البيت بالأوان
إن كيسى إن كيسى بجمع الدنيا ولآخر

فقلت:

كل ما فى الكيس يفارق ياددُ اسمع وفكّر

والفخار والمجد كلو في العلوم فاطلب وبكر
وإن تكن شيخ حق عالم فامش بين الناس وذكّر
تحيي كل الناس بعلمك بل ترى المجموع شاكر

وبعد مبادلة الكلام فى هذا الوزن نحو نصف ساعة، قال: هات غزلا على قد

مدود حمارك مطرحو فى الغيط في جنب بستان الأمير
وان كان يجى لك لدارك اربطو فى الحيط أحسن يبرطع فى الحمير
وان كان مكسر فانه يمنعك م المبط وقت السفر فى الهجير
إوعا حمارك يا فتى إوعاه أحسن ماتمشى على القدم

فقلت:

من يوم عرفتك والفؤاد ولهان في حسنك الزاهى النضير
والخد من دمع العيون ريان تجرى عليه كالغدير
أبيت ليلى بالأرق سهران بين الكراسى والسرير
وكل وردى فى الدجى آه آه من يستطع من يصبر

(دور)

قلبي المعذب فى لهيب الخدود والوجد فى الأحشا جحيم
بالله من أوراك باب الصدود لقتل مضناك العديم
أين الوفا يامنيتى بالوعود ورقة القلب الرحيم
أوّاه من نار الجفا أوّاه لو يعشق الريم يعذر

(دور)

قد كان فى سعد السعود خدام   لما التقينـــا فى الطريق
وقلت بالحاجب أروح قدام   وانت ورايا يا صديق
فصرت أنظر للقوام القوام   وعادل القـد الرشيق
حتى ملكت الروح واروحاه   لو يرجع اليوم ينظر

(دور)

قال المدلّع عاشقى ما الحال   جفنى جرح منك الفؤاد
كم من شجى مثلك سباه الحال   حتى غدا خصم الرقاد
قلت ارحموا من فى التصابى مال   عن كل أبواب الرشـاد
قال ان ترم منى الوصال وصفاه   هات اليمين الأكبر

ثم طلبت منه أن يأتى باليمين من هذا الوزن فوقف، فقصدت الحاج اسماعيل فوقف، فطلبت من الستة فوقفوا، فقال المرحوم شاهين باشا : نحسبها لك واحدة . ثم قال الشيخ : هات غزلا بمعنى بديع على قد :

أهيف رشقنى بقوام   مثـل المران   والوجد عذبنى بناره

فقلت له : أقول تحميله، وتقولون أخرى من جنسها . فقال : هات . فقلت :

ياأهل الصبابا ياعشاق   سلوا المشتاق   فالعشق ماله غير أهله

فوقف الجميع، ولم يستطع واحد منهم الدخول معى فى هذا

المضيق . فقلت ومشيت إلى آخر الأدوار الآتية :

اشكو إليكم أحزانى	بل هجرانى	من أهيف صادنى نبله
أهيف بنظره فى خده	خدنى عبده	وجت سقامى تشهد له
وأدمعى نرلت تجرى	تنظر صدى	رأت فؤادى يرقص له
قالت لو اتلفت عيونى	قال سيبونى	سيد الملاح يعرف شغله
ما دمت إنى فى رقه	ياخد حقه	وان مال يعتقنى من أصله
أنا خديم و"لا اكتر	الله أكبر	العشق ما ينكر فضله
العشق ترياق الأرواح	ويا الأشباح	ونا الذى طاب لى نهله
مايعرف العشق الأجلاف	ياهل الانصاف	ما للعذول يكثر عزله
عاقل رأى مجنون يشرب	حتى يطرب	فراح شعوره مع عقله
ومال لعذلى يتفرج	بل يدرج	للعشق لما حان قتله
ظن الغرام قصعة فته	فوقها حته	من لحم قد طاب له أكله
لما رآه سلب الألباب	خاف الأسباب	وراح يعضعض فى نعله
وصرت وحدى متهنى	أفضل اغنى	للحب إن شخشخ حجله
أرعى النجوم والنار تكوى	قلبى المشوى	والوجد كتفنى بحبله
قد بعت روحى للفتان	من غير أثمان	وبعت ملكى من أجله
كيف الخلاص والقلب كسير	والصب أسير	والجفن يجرحنى بنصله
والشهد فى ثغر المحبوب	هو" المطلوب	لكن أخاف قرصة نحلة
خالو يلوح كالشمسية	فى الظهرية	والخد نايم فى ظله
عزمت وجدى يتعشى	جو الأحشا	فجه بخيله مع رجله

والصدر وسع له النادى يا أســـيادى والكبد قامت تطبخ له
والعين كبت خمرتها من فرحتها والقلب قابلنا بطبله
قعد وربع فى صدرى والنار تجرى مثل الصواريخ من حوله
لما رأى روحى وجدى أتلف كبدى بعث رساله مع رسله
يقول يا مسكين مالك بَيِّن حالك عسى يكون عندى حله
فقلت ياسيدى عبدك من نار خدك حرق اللهيب جسمه كله
أخذت حبيب قلبى النخوه بعد القسوه وجا يغازلنى بدله
خطر ولكن فى قلبى بهجـــة لى وجاد لمسكينو بوصله
من فرحتى هرولت ابكى من غير ما شكى والدمع من كترو بلّه
حركت قلبه للرحمه من دى الفحمه فجاد بياسمينو وفله
فقلت أحييت الفانى يا إنســـانى الله يجازيك بفضله
وكان ما يرجو للعاشق غير الفاسق والسر لا يحسن نقله

وإلى هنا صفق الباشا والحاضرون، ثم عدنا للزجل المعتاد بما يطول ذكره، فان الشيخ رمضان كتب من زجل هذا المجلس خمسة كراريس، وكله محفوظ عندنا لم يضع منه شيء. وقد استمرت المناظرة ثلاث ساعات » انتهى ما نقلته من الأستاذ، ولقد سألت بعض من حضر هذا المجلس عما كتبه المترجم، فأنكره، وأخبرنى أنه تغالى فيما كتب. وذكر أناسا لم يكونوا حاضريه. والله تعالى أعلم

ثم اتصل المترجم بالبيك التتونجى فجعله وكيلا على ضياعه، ومازال حتى لحق بالإسكندرية مسقط رأسه، ومنبت غرسه، وكان منه ما سنقصه عليك

تلك خلاصة ترجمته فى أول أمره، ومبتدا خبره. وكان القطر المصرى فى تلك الأثناء فى اضطراب وهرج ومرج من اختلال الأحوال وفساد الحكام واعتلاء الأفرنج على الأهلين، وقد سئم الناس حكم إسماعيل باشا وتمنوا زوال دولتـه. فلما وفد المترجم على الثغر رأى لفيفا من الشبان ألفوا جمعية سموها « بمصر الفتاة » يتآمرون فيها سرا خوفا من بطش الخديو، فعرف منهم البعض، واشتغل بالكتابة فى صحف الأخبار، فأعجب الكتاب بمقالاته واقتدوا به فى تحسين الإنشاء، وكان سقيما منحطا فى ذلك العهد. ثم سعى مع جمع من الأدباء فألفوا جمعية سموها « بالجمعية الخيرية الاسلامية » سنة ١٢٩٦ آخر سنى إسماعيل باشا فى الحكم، وجعلوه مدير مدرستها. ثم عزل الخديو وتولى ابنه توفيق باشا، ففرح الناس وظنوا انفراج الأزمة. وجد المترجم واجتهد فى إنجاح مسعاه فى الجمعية، حتى حمل الخديو على زيارة مدرستها، فزارها يوم امتحان تلاميذها، وجعلها فى حماية ولى عهده عباس بيك، وأنعم لهم بالمدرسة البحرية يدرسون بها، وأجروا عليها من الحكومة مائتين وخمسين دينارا فى السنة مساعدة. وطفق المترجم يؤلف القلوب ويحض الأهلين على الالتئام بالمقالات والخطب ينفثها قلمه ولسانه، وألف قصة سماها: « الوطن وطالع التوفيق » وأخرى سماها: « العرب » شرح فيهما ما كانت عليه حالة القطر وما طرأ عليه،

ثم مثلهما هو وتلاميذه بأحد ملاعب الثغر بحضور الخديو ، فكان لهما تأثير كبير فى النفوس ، واشتهر المترجم وعلا كعبه ، ولهج الناس بذكره . ثم طرأ فساد على الجمعية نسبوه إليه فانفصل منها . وكان شرع فى إنشاء صحيفة سماها « التنكيت والتبكيت » مزج فيها الهزل بالجد ، ظهر أول عدد منها فى ٨ رجب سنة ١٢٩٨ ، وظهر فى أثناء ذلك وميض الثورة العرابية من خلل الرماد ، فوافقت هوى فى نفس المترجم لميله إلى الشهرة وبعد الصيت ، فضموه إليهم وشدوا أزرهم به . فملأ صحيفته بمحامدهم ، ودعا إلى القيام بناصرهم ، وخطب الخطب المهيجة ، ونظم القصائد الحماسية ، وندب الوطن ورثاه ، وحض على الاجتماع والتكاتف ونبذ أضاليل الأفرنج ، فأثرت قالته فى النفوس وأشربتها القلوب . وادعى الشرف ، وانتسب إلى الإمام الحسن السبط رضى الله عنه ، والله أعلم بتلك النسبة ، فقد رأيت كثيرين ممن عرفوه ينكرونها . ثم أوقف صحيفته بعد أن ظهر منها ثمانية عشر عددا آخرها تاريخه ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ ، وكانت أسبوعية تظهر يوم الأحد . وانتقل إلى القاهرة وهى جذوة من نار ، وغير اسم صحيفته بأمر عرابى باشا كبير الثوار فسماها « الطائف » تيمنا باسم بلدة بالحجاز مشهورة ، وتفاؤلا بأنها تطوف المسكونة كما جابتها جوائب أحمد فارس . واسترسل

المترجم مع رجال الثورة حتى صار جُذيلها المحكك ، وعُذيقها المرجب . ولقبوه بخطيب الحزب الوطنى . وقام سراة القطر وأعيانه يعقدون المجتمعات ويولمون الولائم للعرابيين ، ويدعون المترجم للخطابة ، فكانت له بها المواقف المشهودة ، والأيام المعدودة ، حتى استفحل الأمر وقامت الحرب بالإسكندرية بين الإنكليز والمصريين يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ١٢٩٩ . فسافر المترجم إليها مع جماعة من رؤساء الجند وبات بها ليلة ، ثم لحق بعرابى باشا وقد انهزم إلى كفر الدوار ، ثم انتقل معه إلى التل الكبير وهو ينشئ صحيفة الطائف بالمعسكر ، فيضمنها أخبار الانتصار ، ويحشوها بالأكاذيب تهدئة للأفكار ، حتى وقعت الهزيمة الكبرى على المصريين بالتل الكبير ، ففر عرابى باشا وعلى باشا الروبى ومعهما المترجم إلى القاهرة يوم الأربعاء ٢٩ شوال من السنة المذكورة ، واتفقوا على إرساله إلى الإسكندرية بكتاب يطلبون به العفو من الخديو فسافر به يوم الخميس ، ولما وصل إلى كفر الدوار بلغه القبض على زعماء الثورة ودخول الإنكليز القاهرة . فعاد إليها ليلا وبقى فى داره بجهة العشماوى إلى الصباح ، وخرج مع والده وخادمه فركبوا عجلة وقصدوا بولاق ، ورآه شاهين أفندى فؤاد المفتش بالمصرف العقارى ، وهو من مماليك عباس باشا والى مصر ، فظنه غير مطلوب ، قال : ولولا ذلك لقبضت عليه . فلما وصلوا إلى بولاق ودعه أبوه

واختفى هو وخادمه ولم يظهر لهما أثر . فأقام مختفياً نحو تسعة أعوام لا يهتدى إلى مكانه ، وقد أعيا الحكومة المصرية أمره حتى جعلوا ألف دينار لمن يرشد إليه ، وبثوا عليه العيون فلم يظفروا منه بطائل، فلما أعيتهم الحيل حكموا عليه بالنفى مدة حياته من القطر المصرى ، ويئس أصحابه من وجوده ، وأشيع القبض عليه وخنقه سرا ، ومنهم من أشاع موته حتف أنفه ، ومنهم من أشاع هربه إلى بلاد الأفرنج ، فعد اختفاؤه من الأمور الغريبة . ولا غرو فأمره غريب من أوله

وكان من خبر اختفائه أنه لما ودع أباه ببولاق قصد دار الشيخ مصطفى (١) أحد أصدقائه فأقام بها أياما ، ثم غير زيه فلبس ثوبا من الصوف الأحمر المسمى بالزعبوط واعتم بعمامة حمراء وسدل على عينيه منديلا ، وأحفى شاربيه وأعفى لحيته حتى تغيرت هيئته ، ثم نزل مع خادمه فى سفينة قاصدة بنها ، ثم انتقل منها ووصل إلى بلدة تسمى منية الفرقى بقرب طلخا ، وقصد رجلا من مشايخ الطريقة الصاوية كان أخذ عليه العهد فى السلوك اسمه الشيخ شحاته القصبى ، وكان مشهوراً بين الناس بالصلاح والتقوى ، فلما دخل عليه لم يعرفه لتغير شكله ، فجلس هنيهة حتى انصرف من بالمجلس، ثم اختلى به وعرفه حاله وأقام عنده ثلاثا، ثم أشار عليه الشيخ بالانتقال واعتذر بكثرة الواردين، فتحول إلى دار أحد دراويش الشيخ الموثوق بهم ، فآواه شهرا، ثم

(١) ترك المؤلف فراغا قليلا ، لعله كان يريد ملأه بتكملة الاسم

قصد بلدة أخرى وطوحت به الطوائح ولقى الأهوال. وحدث انه نزل مرة مختفيا عند قوم فأخفوه فى قاعة مظلمة يتساوى بها الليل والنهار. ويتوصل إليها من سرداب طويل شديد الظلمة، وكانت أرضها ترشح الماء لانخفاضها وقربها من خليج مار بجانب تلك البلدة، وكان لا يتمكن من الكتابة والمطالعة إلا على مصباح صغير من زيت الحجر المسمى بالغاز أو الجاز كثير الدخان، فقاسى الشدائد بهذا المكان تسعة أشهر، ولما خرج منه كاد لا يبصر الطريق لما غشى عينيه. وكان كلما حل أو ارتحل يغير اسمه وحليته، فتارة يبخر لحيته بالكبريت حتى تبيض، ويخضبها بالحناء أخرى. وكان اسم خادمه حسينا، فسماه صالحا وخفى أمره على الناس. وظنوه شيخا من الصلحاء، حتى لقى مرة بعض من يخشاه وحادثه فستره الله وشمله بعنايته حتى فارقه.

ثم ألقت به يد الأقدار إلى بلدة تسمى العَتَوة القبلية بمديرية الغربية، فاختفى عند عمدتها الشيخ محمد الهمشرى فأكرم مثواه وأقام فى داره ثلاث سنوات ونيفا تزوج فيها وولدت له بنت وماتت ولم يشعر به أحد، وزوج خادمه حسينا بأخت زوجته، ثم مات فى أثنائها رب الدار وكان شهما ذا مروءة كبيرة، وله امرأة مثله شهامة ومروءة، فاستحضرت أكبر أولادها وأعلمته أن ضيفهم المختفى عندهم هو عبدالله نديم طريد الحكومة. وسألته هل يطمع فى الجعل ويسلمه أم يكون كأبيه فى حفظ الجار

وحماية الذمار؟ فاهتز الولد لقولها وأبى إلا أن يقتدى بأبيه فى الكرم.
ولعمرى إن ما أتته تلك الأسرة من مكارم الأخلاق وعلو الهمة
لما يندر مثله فى هذا الزمن. وتنقل المترجم من بلد إلى بلد، وماتت
زوجته. ثم ذهب إلى القرشية نزيلا عند أحمد باشا المنشاوى، فكان
يجتمع به صديقه القديم الأديب محمد افندى التميمى
وغيره، وتزوج هناك ببنت مصطفى مُنى من أهل المحلة الكبرى، إلا
أنه لم يحمد المقام فانتقل إلى دار التميمى فى شهر ذى القعدة سنة
١٣٠٥ فأقام بها شهرا. ثم سافر إلى الدلجمون بمديرية البحيرة، فلم يمكث
بها إلا نحو أسبوع. وعاد إلى الغربية وقصد البكاتوش فكان يقيم
تارة عند عمدتها الشيخ ابراهيم حرفوش وينتقل تارة إلى دار جاره
أحمد جوده، وكان رجلا قوى الجنان لايبالى بظلام الليل أنّى سار
فيه. فصار يصحب المترجم إذا أراد الانتقال من بلد إلى بلد فى الليل
الحالك، ويتجشم معه أضيق المسالك. وجعل المترجم إقامته بين
البكاتوش وشباس الشهداء ينزل فيها عند محمد معبد الحلاق فيلقى
عنده من الكرم والمروءة مالقيه إبراهيم بن المهدى عند ذلك
الحلاق المشهور مدة اختفائه من المأمون. ولم يزل المترجم حتى انتقل
عند صديقه وصديقنا الأديب الكامل والشاعر الناثر محمد افندى
شكرى المكى كاتب المركز بدسوق. أخبرنى الأديب المذكور
قال: بينما أنا بالمركز يوما إذ دخل على الشيخ إبراهيم حرفوش

عمدة البكاتوش فسلم وجلس ، ولمحت منه أنه يريد أن يسر إلىّ أمرا فترقب خلو المكان ، ثم أخبرنى أن شخصا عنده مشتاق إلى ، وهو صديق لى لم يرنى منذ ثمان سنوات ، فاستخبرته عنه فانصرف ولم يخبرنى به . ثم صار يتردد على بعد ذلك يذاكرنى فى هذا الصديق ولا يبوح باسمه ، حتى وثق منى ، فأخبرنى أنه مختف واسمه عبدالله فقلت : لعله عبدالله نديم ، فقال : نعم هو . فكتبت له بيتين من نظمى ، وسألته توصيلهما إليه ، وهما:

ولقد نذرت إذا لقيتك سالما　　لأقبلن مواطئَ الأقدام
ولأثنين على سجاياك التى　　حثت على التحرير والإقدام

فذهب بهما ، وعاد لى بعد يومين بقصيدة من نظم المترجم بخطه عدتها مائة بيت من البحر والقافية ، يتشوق فيها إلىّ ويذكر مالاقاه أيام الثورة والاختفاء ، ويتمنى لو فرج الله عنه فيفعل كيت وكيت ، وكأنه نسى نفسه وما هو فيه من الضيق ، فكتبت له أبياتا أطلب الاجتماع به . وبعد أسبوع حضر لى إبراهيم حرفوش ومعه ورقة بخط المترجم يطلبنى فيها إليه يوم الجمعة بشباس الشهداء ، فذهبت فى الميعاد فوجدت محمد معبد الحلاق ينتظرنى ، فذهب بي إلى داره وهى دار صغيرة على تل ، وقد أنزلوا المترجم فى مكان عال لاسلم له ، فصعدت إليه على سلم من الخشب رفعوه بعد صعودى ، فلما التقينا ووقعت العين على العين تعانقنا طويلا ، وأدركتنى عليه شفقة فقبلت

يده ، ثم جلسنا نتحادث فى القديم والحديث ، وأطلعنى على كتبه التى ألفها مدة الاختفاء ، منها بديعية له شرحها شرحا لطيفا لم يكمله ، وثلاثة دواوين من نظمه ، وجزء من كان ويكون ، ثم فارقته وقت العصر . انتهى

وانتقل المترجم عند صديقه المذكور بزوجته وكتبه مدعيا أنه ابن عمه أتاه زائرا من الحجاز ، وسمى نفسه عليا اليمنى ، فمكث نحو ستة أشهر . ثم انتقل بمفرده إلى شباس الشهداء ولحقت به زوجته بعد عشرين يوما . ثم أعادها بعد خمسة وعشرين يوما إلى دار شكرى أفندى بدسوق ولحقها فمكثا ستة أشهر أخرى ، ثم عاد إلى البكاتوش عند أحمد جوده وكانت زوجته هذه تسيء إليه وتغاضبه فجمعت عليه مع ضيق الاختفاء سوء معاشرة الأهل ، حتى ضاق ذرعه منها مرة وهم باظهار نفسه للحكومة ثم تراجع وأصلح أمره معها ، ولكمته مرة على فمه فكادت تسقط ثنيتيه من الفك الأعلى ، فربطهما بخيط من الحرير. وكان خادمه حسين مختفيا مع زوجته ببلدة الجميزة التابعة لمركز السنطة فطلبت زوجة المترجم الذهاب إليه فأذن لها ، فلما استقرت عنده تشاحنت مع زوجته وكاد الأمر ينفضح ، فأسرع الخادم لسيده بالبكاتوش مستغيثا ، فانتقل المترجم إلى الجميزة وأصلح بينهما ، وبقى هناك نحو شهرين فاستأنس وطاب له المقام ، وعرفه عمدة البلدة فتغاضى عنه وكتم أمره ، فكان يخرج للتنزه على غير عادته فى الاختفاء

فيلتف عليه العمدة وبعض أناس من البلدة ، وهو يقرأ لهم ويعظهم ويسامرهم وهم مبتهجون به

وكان يتردد على البلدة رجل يقال له حسن الفرارجى كان منتظما فى العسكر ، ثم استخدم جاسوسا سريا ، فلما بصر بالمترجم (١) أنكر حاله لما رآه عليه من سيما الاختفاء ، ورجح أنه عبدالله نديم ، فكتب الى الديوان الخديوى ينبئهم بوجود رجل من العرابيين مختف بالجيزة ، وأسرع إلى ديوان الداخلية فأوضح لهم أمره ، فأعطوه ورقة بحليته ، فلما تحقق منه أخبرهم به ، فأمروا بالقبض عليه ، وحضر من المديرية محمد أفندى فريد وكيل (الحكمدار) ومعه نفر من الشرطة ستروا ملابسهم بثياب أخرى ، فأحاط بعضهم بالبلدة متفرقين ، وصعد وكيل (الحكمدار) مع الآخرين على تل مشرف على أفنية الدور ، وأحس المترجم بتلك الحركة ، فأوجس فى نفسه خيفة ، وأراد الانتقال إلى دار أخرى فأخذ عيبته على كتفه وصعد على سطح المكان ، فأبصره الذين على التل ، فصاحوا وصوبوا بنادقهم عليه ، وأمروه بالنزول فنزل ، ثم أحاطوا بالدار ، وطرقوا الباب طرقا عنيفا ، وأيقن المترجم أنه مأخوذ لا محالة ، ففتحه لهم ، وواجههم متجلدا ، فسأله محمد افندى فريد عن اسمه فقال له : سبحان الله ، أتجهل اسمى وأنت مأمور بالقبض على ، أنا عبد الله نديم ، ذو الذنب العظيم ، وعفو مولاى الخديو أعظم ، سلمت أمرى

(١) تحت هذه الكلمة خط ، وبالهامش : فأبصر رجلا . وأغلب الظن أنه تغيير من بعض من نظروا فى المخطوطة

لله . فقبضوه هو وخادمه ، وأعماهم الله عن كتبه وأوراقه ، ولولا ذلك لأصابه شر عظيم بسبب أهاجيه القبيحة فى الخديو وأسرته ، وكان القبض عليه فى ٢٩ صفر سنة ١٣٠٩ ، ولم ينل الواشى به شيئا من الجعل لفوات الأجل المضروب للمكافأة ، ثم استاقوهما إلى المركز ، وسألوه عمن اختفى عندهم ، فلم يقر بأحد ، وسألوا خادمه وضربوه ، فأقر بالبعض ، ونقلوهما إلى المديرية بطندتا ، فسجنا بعض أيام ، ووكيل النيابة بالمحاكم يوالى سؤالهما ، وانتهى الأمر بعفو الخديو عنه وعمن آواه ، ونفيه خارج القطر

فاختار يافا ثغر القدس الشريف ، ووصلها فى غروب يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول ، ونزل عند السيد على أفندى أبى المواهب مفتيها ، ولما دخل داره وعرفه بنفسه ، قام واعتنقه ، وضحك وبكى . فأقام عنده شهراً ، ثم اتخذ له دارا ، وعرفه أعيانها وفضلاؤها ، وأكرموه وواسوه ، جزاهم الله خيراً . ثم رحل رحلته إلى نابلس وسبطية وقلقيلا وغيرها من البلاد الفلسطينية . واجتمع بطائفة السامرة واطلع على كتبهم ومعتقداتهم كما رأيته بخطه فى كتاب أرسله لأحد أصدقائه فى مستهل رمضان . ولم يزل مقيما بيافا حتى مات الخديو وتولى ولده عباس باشا فى جمادى الثانية ، فعفا عنه وأباح له العود إلى مصر . قال فى آخر ذلك الكتاب : «عزمنا على الحضور بعد العيد إن شاء الله تعالى ، فإن موسم سيدنا موسى الكليم يعمل فى نصف

شوال ، ولا أحضر حتى أزوره مرة ثانية ، فإنه صاحب الأمر بالعفو عنى ، وإن كان الظاهر خلافه ، وذلك أنى عند دخولى حضرته الشريفة أنشدته فى الحال :

رجوتك يا كليم الله حاجا　　أرجيها وقد حققت فضلك
فقل لى مثلما لك قبل أوحى　　إله الخلق قد أوتيت سؤلك

فرأيته ليلا يقول لى (قم رَوّح) ثلاثا ، وكانت ليلة ٣ رجب وهو تاريخ صدور الأمر » . انتهى ما نقلته من خطه

ولما عاد إلى مصر استوطن القاهرة ، وأنشأ مجلة الأستاذ فى شهر صفر سنة ١٣١٠ ، فبرزت موشحة ببديع مقالاته وغرر أزجاله وموشحاته . وبدت الوحشة فى أثناء ذلك بين الخديو والإنكليز ، وكان ما كان من عزله صنيعتهم مصطفى فهمى باشا كبير الوزراء ، ومعاكستهم فيما يريدون . فقام المترجم يستنهض الهمم ويحض على موازرة الخديو ونبذ طاعة سواه ، وكتب فى ذلك المقالات الطويلة بالأستاذ حتى أحفظ الإنكليز ، وخشوا من اتساع الخرق لمكانته السابقة من النفوس ، وسعى حساده بما سعوا ، ولفقوا ما لفقوا ، فأوقفوا مجلته فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ، وأعادوه إلى يافا منفيا بعد أن أعطوه أربعمائة دينار ، وأجروا عليه خمسة وعشرين كل شهر ، واشترطوا أن لا يكتب بشأن مصر كلمة ، ولم ينفعه الخديو لقصر يده

فلما استقر المترجم بيافا لم يسلم من السعاية به لدى السلطان ،

فأمر بإبعاده فعاد إلى إسكندرية متحيرا ،ولقد لفظته البلاد لفظ النواة ، فسعى له الغازى أحمد مختار باشا وساعده حتى قبله السلطان المعظم عبد الحميد بدار السلطنة ، واستخدمه فى ديوان المعارف ووظف له خمسة وأربعين دينارا مجيديا فى الشهر ، فأمضى بها بقية أيامه شريدا عن وطنه ، بعيدا عن أهله وخلانه ، حتى اشتدت عليه علة السل ، فلقى حمامه فى الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤

ودفن بمقبرة يحيى افندى فى بشكطاش ، وضاعت مؤلفاته ودواوينه ، ولم يظهر منها إلا جزء من « كان ويكون » كان يطبعه ذيلا للأستاذ ، وكتاب آخر نسبوه إليه اسمه « المسامير » محشو بالهجو القبيح فى الشيخ أبى الهدى الصيادى نزيل دار السلطنة ، فمضى وكأنه لم يكن ، رحمه الله رحمة واسعة .

ومن تأمل بعين الاتعاظ فى تقلب الأحوال بالمترجم ، وماذاقه من حلو الزمان ومره ، وقاساه مدة الاختفاء ، ثم النفى حتى مات غريبا طريدا ، حق له العجب ، وعرف كيف يعبث الزمان بأهل الفضل من بنيه .

ونشأ المترجم فقيرا كما قدمنا ، وعاش فى قلة ، فان أصاب شيئا بدده بالإسراف . وكان فى أول أمره يرتدى الثياب الأفرنجية المعلومة ، فلما ظهر بعد الاختفاء لبس الجبة والقفطان ، واعتم بعمامة خضراء اشارة إلى الشرف . وكان شهى الحديث حلو الفكاهة ، إذا أوجز ود المحدث أنه لم يوجز . لقيته مرة فى آخر إقاماته بمصر فرأيت رجلا

فى ذكاء إياس ، وفصاحة سحبان ، وقبح الجاحظ . أما شعره فأقل من نثره ، ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى فى عصرنا هذا ، وقد انتخب أخوه عبد الفتاح افندى جملة صالحة من مقالاته ، جمعها فى كتاب سماه « سـلافة النديم » فارجع إليه إن شئت .

ونحن ذاكرون من شعره ما يحتمله هذا المختصر ، فمن ذلك مرثيته فى الخديو محمد توفيق باشا وقد أشار إليها فى كتاب أرسل به من يافا فى ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ يقول فيه : «غمنى وكدرنى موت الحضرة الخديوية لأمور : (أولا) فلعفوه عنى وإحسانه إلىّ (ثانيا) لسابقة معروفه معى وتوجهاته السابقة، (ثالثا) لصغر سنه (رابعا) لصغر سن أنجاله ، (خامسا) لصغر سن حرمه وما تقاسيه من حزنها عليه لما كان بينهما من شدة الألفة والمحبة (سادسا) لأنه كان برزخا بين مصر وبين نكبات انكلترة وغيرها ، والله تعالى يجرى الأمور على السداد ، وسأبعث بمرثية رنانة لحضرة ولدى مصطفى بك ماهر رئيس ترجمة ديوان الحربية ليطبعها وينشرها على حدتها » انتهى ما نقلته من خطه ، ولم أقف إلا على ثلاثة أبيات منها ، ذكرها المترجم بالأستاذ وهى :

ماللكواكب لاترى فى المرصد والكون أصبح فى لباس أسود
عم الكسوف الكل أم فقد الضيا أم كلنا يرنو بمقلة أرمد

وتاريخها :

فملائك الجنات قالت أرخو   توفيق فى عز النعيم السرمدى

١٣٠٩

ومن مختار شعره قوله من قصيدة لم نعثر منها إلا على هذا القدر :

سيوف الثنا تصدا ومقولى الغمد   ومن سار فى نصرى تكفله الحمد

ومنها :

ومن عجب الأيام شهم أخو حجا   يعارضه غر ويفحمه وغد

ومن غرر الأخلاق أن تهدر الدما   لتحفظ أعراض تكفلها المجد

ويقال إنه نظمها بحضرة شاهين باشا تبكيتا لمن زعم قصور الشعراء عن معارضة أبى الطيب المتنبى فى قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدواً له ما من صداقته بد

قلت : بين القولين فرق ظاهر للمتأمل . وأين الثريا من يد المتناول؟

ومن شعره قوله أيام اختفائه ، وكتب بها إلى صديق له يسليه على نازلة نزلت به :

ياصاحبى دع عنك قول الهازل   واسمع نصيحة عارف بالحاصل

اجهل تجد صفو الزمان فانه   من قسمة الفدم الغبى الجاهل

ودع التعقل بالتغفل يستقم   أمر المعاش فحظه للغافل

وارض البلادة تغتنم من بابها   مالا وجاها بعد ذكر خامل

وإذا أبيت سوى العلوم فلا تضق   بحروب دهر لا يميل لفاضل

قلب تواريخ الألى سبقوا تجد   دنياك ما قيدت بغير الباطل
تجد الأفاضل فى الزوايا كلهم   حال الحياة وبعدها بمحافل
العلم ستر كالسحاب به ترى   شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل
هل أبصرت عيناك ديوانا به   مدح البليغ جميل سعد حافل
إن قلت إى فاذكر لنا من ناله   أولا فعش كالناس فى ذا الساحل
ضدان لا تلقاهما فى واحد   مال الغبى وحكمة للكامل

ثم ذيلها بنثر أضربنا عن ذكره .

ومنه قوله وضمنها كتابا كتبه مدة اختفائه لأحد أصدقائه :

وبعد فهذا شرح حالة غائب   عليه من اللطف الخفى ستور
تدور به الأهوال حول مدارها   فيصبر والقلب الرضىّ صبور
عسى فرج يأتى به الله إنه   على فرجى دون الأنام قدير

ترجمة

سلطان باشا

هو محمد باشا ابن سلطان بن أحمد ، من قرية بالصعيد تسمى
زاوية الأموات ، بالجانب الشرقى من النيل ، تجاه منية ابن الخصيب
ولد بها سنة ١٢٤٠ أو إحدى وأربعين . ورباه أبوه فسلمه لمعلم
للقرآن بالقرية علمه القراءة والكتابة ، وحفظه ما تيسر من القرآن
الشريف . ولما بلغ أشده تركه أبوه ينظر فى أمور القرية المذكورة،
إلى أن نقل حسن باشا الشريعى من نظارة قسم قلوصنا ، فى ولاية
محمد سعيد باشا على مصر ، فسأله الوالى عمن يقيمه بدله على القسم
المذكور ، فذكر له المترجم ، وأثنى عليه ، وضمن كفايته ، فأقيم
ناظراً لهذا القسم مدة ثلاث سنوات . ثم جعله سعيد باشا وكيلا
لمديرية بنى سويف ، وبعد سنتين جعله مديراً لها ، فبقى فيها إلى أن
توفى سعيد باشا ، وتولى ابن أخيه إسماعيل باشا ، فنقل المترجم
مديراً للغربية فمكث بها نحو سنة . ثم أمر بنقله مديرا لأسيوط فأقام
بها نحو سنتين ، ثم جعله وكيلا لإدارة تفتيش الوجه القبلى ، ثم
أحال عليه النظر فى ضياعه التى بالصعيد المسماة بالجفالك ، ثم جعله
مفتشاً على مديريات الوجه القبلى ، وانحرف عنه فى أثناء ذلك
عكوش باشا ، وشاهين باشا ، وعظمت الوحشة بينه وبينهما فوجد

حاسدوه فرصة للايقاع به نظرا لمكانة الرجلين عند الخديو، فسعوا به عنده ووشوا له بأمور عنه كان يكرهها، فغضب عليه وأمر بسفره إلى السودان رئيسا لمجلس الخرطوم، وهو فى الحقيقة نفى على جارى عادة ولاة مصر، إذا غضبوا على أحد نفوه إلى السودان فى صورة تنصيبه بأحد المناصب. فصدع المترجم بالأمر وسافر، ولكنه لما وصل بنى سويف وصله أمر الخديو بالرجوع بسبب تداخل ولى العهد محمد توفيق باشا، وسعيه بالشفاعة له لدى والده لأنه كان يحبه فرجع من الطريق وقصد قريته زاوية الأموات. فمكث بها عدة شهور، ثم أذن له بالإقامة فى القاهرة فأقام بها فى داره المعروفة بجهة الإسماعيلية مدة، إلى أن جعله الخديو إسماعيل باشا مديراً للفيوم، ولكنه عاد فألغى هذا الأمر قبل سفره. وبعد نحو سنة رجع بأمر الخديو المذكور إلى بعض المناصب التى كان بها بالوجه القبلى.
وخُلع الخديو وتولى بعده ولده محمد توفيق باشا. وقامت الثورة العرابية وطالب العرابيون الخديو باعادة مجلس النواب، وكان أهمل شأنه بعد توليته، فأجابهم لذلك وألف مجلس النواب، فجعل المترجم رئيساله لما يعلمه من إخلاصه ومحبته له، ثم وقعت بينه وبين العرابيين وأمراء الجند منازعات وخلاف فى بعض الأمور، ظهر لهم منها ميله للخديو، فأبغضوه ونووا له السوء

وقام عليه مرة عرابى وبعض الضباط فى داره، فهددوه بالقتل وجردوا سيوفهم فى وجهه، وكاد يقع فى أيديهم، لولا أنهم تراجعوا

عنه من تلقاء أنفسهم ، واشتد قلقه بعد هذه الحادثة، ورأى حياته معهم على خطر ، فاحتاط لنفسه ، وصار إذا جلس بداره وضع بجانبه مسدساً محشوا ليدافع به عن نفسه إذا فوجئ ، ولم يغن تهديدهم له شيئا ، ولم يجد فى تحويله عن الخديو ، بل استمر على إخلاصه ، والقيام بمساعدته ، والأخذ بناصره . ثم اشتدت الفتنة ، وسافر الخديو إلى الإسكندرية ، فصحبه المترجم ملازما خدمته ، واستدعاه هناك درويش باشا مندوب السلطان فى شعبان سنة ١٢٩٩ ، وأنبأه بإنعام السلطان عليه برتبة روم‌للى بيكلربكى ، وأعطاه تقليدها بيده

ثم قامت الحرب على ساق ، بين الإنكليز والعرابيين ، فندبه الخديو لمساعدة الإنكليز ، وإرشادهم إلى الطرق ، فبذل ما فى وسعه وكاتب بعض مشايخ العرب والعمد ، ومن لهم شأن ، يمنيهم بالخلع والرتب والأوسمة ، على أن يبذلوا الطاعة للخديو والإنكليز وينبذوا طاعة العرابيين ، فنجح فى مسعاه ، ووافقه الكثيرون ، فانضموا للخديو وشيعته سراً ، ووقع الفشل فى زمرة العرابيين ، وانهزمت جموعهم ، واستولى الإنكليز على مصر ودخلوا القاهرة يوم الخميس مستهل ذى القعدة سنة ١٢٩٩ . فأرسله الخديو إليها نائبا عنه ، وأطلق يده فى التصرف فى الأعمال ، فوصلها فى ٢ ذى القعدة ليلاً من طريق بور سعيد ، واستبد بالأمور أربعة أيام حتى حضر

النظار اليها ، وباشروا أعمالهم . وقد تاه المترجم وتجبر فى هذه الأيام الأربعة ، وأمر بالقبض على كثيرين ممن كان له بغية فى القبض عليهم وإذلالهم ، ومنهم حسين باشا الشريعى ، فإنه أوغر صدر الخديو عليه ، وأشار بسجنه ، ونسى له سابق فضله عليه ، وذلك لخلاف وقع بينهما إبان قيام الفتنة

ولما حضر الخديو من الإسكندرية عقب إطفاء الثورة وذهب الناس لتهنئته بقصر الجزيرة يوم الثلاثاء ١٣ ذى القعدة المذكور أثنى أمامهم على المترجم ثناء كثيراً ، وقال : هذا هو الرجل الذى أخلص لنا فى السر والعلانية ، وأنعم عليه بالوسام المجيدى الأول ، وأمر باحضاره فوضعه على صدره بيده أمامهم . ثم سعى له عند النظار للإنعام عليه بعشرة آلاف دينار مصرى مكافأة على خدمته ومسعاه ، فأعطيت له من ديوان المالية . وكافأه الإنكليز بوسام (سان جورج ، وسان ميشيل) من الدرجة الأولى لمساعدته لجندهم إبان الحرب ، وذهب به السيرمالت قنصلهم الكبير إلى داره وسلمه له يوم الثلاثاء ١٧ محرم سنة ١٣٠٠ ، وقال له : إن من شروط هذا الوسام أن تضعه مولاتنا الملكة بيدها على صدر من تنعم عليه به . وقد أتيت اليكم نائباً عنها فى وضعه على صدركم جزاء إخلاصكم وولائكم لجلالتها ولحضرة الخديو . ثم فى جمادى الاولى من هذه السنة أنعموا عليه أيضاً بالمدالية الانكليزية المضروبة بخصوص الحرب العرابية

وبقى المترجم بعد ذلك فى داره بالقاهرة بلا عمل ، ملقبا بلقب رئيس مجلس النواب . ثم انتدب للإشراف على شواطئ النيل وجروفه بالوجه القبلى لما زاد فى الفيضان ، فصدع بالأمر على كره منه ، ورأى ذلك حطا من مقامه ، واستقل العشرة الآلاف والوسامين على ما قام به للخديو والإنكليز ، وانعكست آماله التى التى كانت ترمى إلى تنصيبه فى منصب كبير ، وفترت نفسه ، وكثرت همومه ، وانحرف عن الإنكليز ، وطفق يذمهم بعد أن كان لهجًا بمدحهم والثناء عليهم فى كل مجلس يجلسه ، واعتزل الناس فجعل إقامته بالصعيد ، ولما ذهب اللورد دوفرين إلى تلك الجهة زاره المترجم فلم يلق منه ما كان يؤمله من حسن المقابلة . وسأله فى عرض حديثه عن حضور أخوى الخديو حسين باشا وحسن باشا من أوربة . فقال له : نعم حضرا . فقال : ولمَ حضرا ؟ فأعرض عنه اللورد ولم يجبه ، ونقل حديثه مع غيره ، فقام المترجم من المجلس كاظمًا غيظه ، وزاد فى ذمه للإنكليز ، وأثرت هذه الأحوال فيه فاعتلت صحته

ثم صدر الأمر العالى يوم الأربعاء ٢١ محرم سنة ١٣٠١ بجعله رئيسا لمجلس شورى القوانين الذى ألف حينذاك ، بدلا من مجلس النواب ، حسب إشارة اللورد دوفرين فى تقريره عن مصر ، فتولى هذا المنصب وهو عليل ، ثم ازدادت علته ، فأشار عليه الأطباء

بالسفر إلى أوربة للمعالجة ، حيث لم تفده معالجة أطباء مصر ، فسافر إلى بلاد النمسة ، ونزل بنزل فى مدينة غراتس ، فوافاه أجله هناك صباح يوم الإثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٠١

ونعى إلى الخديو فى ذلك اليوم بالبرق ، نعاه له قلينى باشافهمى فأسف عليه أسفا شديدا وجزع ، وأمر بنقل جثته إلى القطر المصرى لتدفن فيه ، وأقام له مأتما من الخاصة الخديوية ، وناط بمحافظ القاهرة القيام به بالنيابة عنه ، ووصلت جثة المترجم إلى الإسكندرية يوم الأربعاء ٦ ذى القعدة من السنة المذكورة ، فأمر الخديو بتشييعها تشييعا كبيرا بالإسكندرية ، فسارت فى طليعة الجنازة كتيبة من فرسان الشرطة ، ثم كتيبة من الجند الرجالة منكسى الأسلحة ، يتلوهم قرّاء الأحزاب والبردة ، ثم جميع كبار الموظفين بالإسكندرية ، فتلاميذ المدارس ، فجم غفير من الأعيان حتى أوصلوا النعش إلى السكة الحديد ، فجعلوه فى قطار مخصوص سافر به من هناك إلى منية ابن الخصيب ، ونقل منها إلى الشاطئ الشرقى حيث دفن بمقبرة بلده . وخلف المترجم ثروة واسعة ، وولدا واحدا عمره نحو سنتين ، وثلاث بنات . وقد رثاه الشيخ على الليثى بقصيدة أولها :

لا تأمن الدهر واحذره أخا الفطن

فعنصر الدهر مطبوع على المحن

يا سابحا فى عباب اللهو من عمه
دع الأمانى واحذر عادى الزمن
دهر تنكر فى حاليه لا ثقة
به لداريه فى سر وفى علن
بينا نرى المرء فى أزر الصفا جذلا
إذ ألبسته المنايا حلة الكفن
يمسى وأزهار روض العيش يانعة
حينا ويصبح منعيا على ظعن
ذى شيمة الدهر لم يسلم مسالمه
هيهات يرعى ذماما غير مؤتمن
نرجو وفاه ولو كان الوفى لما
أودى(١) بنفس أبى سلطان ذى المنن

ومنها والله أعلم بما يقول :

يالهف نفسى على واف له همم
ببعضها لو تحلى الدهر لم يخن

ومنها :

إنى لأعجب من ساع لغائلة
وكان يرجو شفاء الروح والبدن

---

(١) فى الأصل : أوردى . وهو سبق قلم

لكن قضى الله من اتمام نعمته
بأن يموت شهيدا نازح الوطن
من مثله قام بالأمر العظيم وقد
كان الزمان عبوس الوجه بالفطن

ومنها فى إقامة الخديو مأتمه :

وبعد أن مات اتماما لنائله
أحيا مآتمه جريا على السنن
هذى العناية قد ود الحسود له
لو كان أودى ولاقى مثلها وفى
قل للحسود انتهض واحلل مكانته
خلا لك الجو فاقرع هامة الفتن(١)
ياشامتا بنعى المكرمات فعش
وخذ أمانا بما تهوى من الزمن
هذا وإلا فنح مثلى مساعدة
وانثر فرائد دمع غالى الثمن
ما كل من مات تبكيه الكرام ولا
كل البكاء بكاء الواله الحزن

---

(١) هكذا فى الأصل ، وربما كان اللفظ القنن ، جمع قنة

هذى مساجده هذى مدارسه
هذى منازل أضياف على سنن
لا أكذب الله انى مت من أسف
لولا يقينى بوشك القرب لم أكن
وقد كفانى رثا شجو يؤرخه
سلطان باشا شهيدا مات ياحزنى

١٣٠١

وكان للمترجم إلمام بالأدب وقرض الشعر ، اشتهر عنه نظم النوع المسمى بالصعيد بالواو ، وأخبرنى من أثق بقوله أنه اطلع على قصيدة له فى مدح حسن باشا الشريعى رحمهما الله.

وحدثنى صديقنا على رفاعة باشا ، ابن رفاعة بك الشهير قال : كانت بينى وبين المترجم وحشة ازدادت لما جعلت وكيلا للمعارف إبان الثورة العرابية ، ثم عزلت من هذا المنصب بعيد الثورة ، وقصدت السفر الى بلدتى طهطا ، فلقيته بالقطار ، فلما وقعت عينه على عينى نظر إلىّ نظر الشامت ثم قال : إيه ياعلى بك ، لقد أجاد الشاعر فى قوله :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان

فقلت نعم أجاد ، وأجود منه قول الآخر :

انى لأرفع عينى حين أرفعها(١) على كثير ولكن لا أرى أحدا

(١) فى الاصل بخط المؤلف أيضا : أفتح ... أفتحها . تحت ماهو مذكور فوق

ترجمة

مصطفى باشا الخزينة دار

جركسى الأصل ، اشتراه عزت باشا ، أحد الصدور فى زمن السلطان محمود الثانى ، ورباه صغيرًا فى القسطنطينية ، ثم أتى به إلى مصر سنة ١٢٥٢ ، فاشتراه كتخداها عباس باشا ابن طوسون باشا ابن محمد على باشا ، وحظى عنده حظوة عظيمة ، وقدمه على سائر مملوكيه ، ولما تولى ابراهيم باشا ابن محمد علىّ على مصر سنة ١٢٦٤ استأذن منه عباس باشا فى السفر إلى الحج فسافر إلى الحجاز وأقسم بأنه لايعود لمصر مادام عمه واليًا عليها ، لوحشة وقعت بينهما . وأخذ المترجم معه ، فلما وصل إلى مكة وأدى فريضة الحج ، وصل إليه البشير بموت عمه ابراهيم باشا ، وتوليته مكانه ، وصادف ذلك موت خزينة داره راغب أغا المورهلى ، فأقام المترجم بدله وأعتقه ، ولزمه من ذلك الحين لقب الخزينة دار ، ثم جعله رئيسًا لمملوكيه ، وأنعم عليه برتبة أميرالاى ، ووظف له ألف دينار مصرى فى السنة ، وعاد معه إلى مصر ، فكبر شأنه ، وعظمت منزلته بين الأمراء ، وأمر ونهى فى الولاية ، وحل عند سيده بمنزلة كبيرة ، حتى أمر أن يكون أمر المترجم كأمره نافذًا لايرد

فى كافة الدواوين ، وكان يقول له : أنت يامصطفى مثل أولادى ، والمترجم لايقابل ذلك إلا بالصدق والإخلاص فى الخدمة ، والوالى يوالى بره ، ويزيد فى إعزازه ، حتى أمر أن يركب مثل ركوبه فى موكب بجند وحاشية ، فاستعفى من ذلك وقال : عبدكم يكفيه ركوب جنديين يستخدمهما فى خدمة أفندينا ، فقبل منه وأعفاه ، وتسامع الناس بذلك فلامه بعض أخصائه على إبائه هذا الشرف العظيم ، فقال له : أنتم جهلاء لاتقرؤون العواقب ، أما تعلمون أنه إذا مات أو غضب علىّ أسلب هذا الشرف وينحط قدرى بين الناس ، أفليس الأولى لى أن أبقى على حالة واحدة لا أغيرها ؟

وكان المترجم ميالا لفعل الخير يسعى فيه جهده ، يروى أنه انقذ نحو ثلاثمائة شخص من القتل والنفى لنفاذ كلمته عند الوالى ،

ويروى أن عباسًا باشا غضب مرة على أحمد باشا المنكلى ، وكان من جلة القواد ، فجفاه الناس وخصوصا الأمراء على عادتهم مع من يغضب عليهم الولاة ، حتى يبلغ بالواحد أنه لايستطيع المرور أمام دورهم ، واتفق أن المنكلى ذهب يوم العيد إلى العباسية لمقابلة الوالى وطلب العفو ، فلقى إعراضًا من الحاشية ونفورا ، ورآه المترجم على هذا الحال فصعب عليه مكانه لما كان يعلمه عنه من علو المنزلة عند الولاة السابقين ، فأسرع إليه وأكرمه وأمر له بالقهوة والدخان ، وجلس بين يديه متأدبا ، ونمى الخبر

لعباس باشا فغضب واستدعى المترجم ووبخه على إكرامه رجلاً مغضوبا عليه منه ، فتلطف معه وقال له : حلم أفندينا أكبر من كل ذنب ، وهذا الرجل تعلمون حسن بلائه فى الخدمة ، وقد جرأنى هذا الحلم بأن سكنت روعه وأخبرته برضاكم عنه ، وأنكم دائمًا تذكرونه بالخير . وتقولون هذا رفيقنا بالشام يوم كنا مع عمنا فى المحاربة ، وأفندينا أكرم من ألا يقبل شفاعة عبده فيه ، فضحك عباس باشا وقال : لا بأس عليه قد عفوت عنه ، ثم استدعاه فدخل وقبل الأرض من شدة فرحه ودنا منه حتى قبل قدمه ، فأجلسه وبش فى وجهه وقال له : أنت (أرقداش) ثم صرفه شاكرًا مسرورا .

ثم لما مات عباس باشا بقى المترجم خزينة دارًا لدائرته زمنًا قليلا . وتولى محمد سعيد باشا على مصر وكان بالإسكندرية فتأخر بها خمسة أيام خوفًا من أن تغتاله شيعة عباس باشا إذا حضر الى القاهرة لما بلغه من أن الألفى يريد تولية الأمير إلهامى باشا ابن عباس باشا . فتأخر حتى كتب له الأعيان والأمراء بالطاعة وأرسلوا كتابهم إليه وفيه توقيع المترجم ، فاطمأن وحضر الى القاهرة ونزل فى قصر شبرا عند أخيه حليم باشا ، فبات عنده ليلة لم يهنأ فيها بنوم ، وأخبر أخاه أنه بلغه عن المترجم ان عنده فى العباسية خمسمائة فارس بسلاحهم ، وأنه يخشى من هجومه بهم على

القصر قصد اغتياله ، فصرف عنه أخوه هذا الوسواس ، ثم طلب المترجم بعد ذلك إلى القلعة وخرج إليه حسن باشا المناسترلى وقال له : أفندينا يعلم أنك رجل عاقل فما هـذه الخمسمائة الفارس التى عندك بالعباسية ؟ أتحاول أن تحدث بهم أمرا ، أو تجدد لك ملكا ؟ فقال : معاذ الله من ذلك إنما أنا عبد من عبيد أفندينا وكل ما سمعه عنى زور وبهتان من سعى المفسدين ، وبعد فهل هذه الفرسان فى بطن الأرض أو فوق ظهرها ، وكيف خفى عليكم أمرها ، نحن ليس عندنا غير عشرين فارسًا لحفظ قصور الحرم ، فتبين لهم صدقه . ثم لما أراد سعيد باشا السفر إلى دار السلطنة لشكر السلطان على توليته — على عادة ولاة مصر من بنى محمد على مع سلاطين آل عثمان — وجد خزانة مصر خالية من المال . فطلب من المترجم إقراضه خمسين ألف دينار من أموال عباس باشا التى بيده ، فأبى وتوقف وقال : إنما أنا أمين عليها وصاحبها إلهامى باشا باستنبول ولا يجوز لى التصرف فى ماله بغير إذنه . فتداخل بعض الأمراء فى الأمر ، حتى رضى باقراضه القدر المذكور بشرط أن يكتب صكا يوقع عليه ، ففعل وأخذ المال . ولما حضر إلهامى باشا من دار السلطنة أعطاه المترجم الصك وقال له : هذا المال أخذه عم أبيك ، فان شئت طالبته به وإن شئت تجاوزت له عنه ، فعدت هذه الحادثة من مواقف المترجم المحمودة .

وبقى المترجم خزينة داراً لإلهامى باشا حتى رآه ينفق أمواله فى غير وجهها ، فنصحه بأنه إذا دام على هذا الحال لا يبقى ولا يذر شيئا مما تركه والده ، وأوصاه بالحزم ، وقال له فى عرض كلامه : ياسيدى أنا لا أنهاك عن الكرم والإحسان الى الفقراء ، ولكنى أنهاك عن الإسراف والتبذير والإنعام على صغار الخدم بهذه الجواهر والنفائس الثمينة التى نراها فى أيديهم كل يوم ، ولما رأى إعراض الأمير عنه وتماديه فيما هو فيه استعفى من منصبه ولزم داره التى بالتبليطة . ثم بدا له السفر الى دار السلطنة فسافر إليها ، وعلم السلطان عبد المجيد بن محمود بمقدمه فطلبه الى القصر ، ولكنه لم يقابله بل أمر أولاده الأمراء مرادا وعبد الحميد ورشادا باكرامه ، فقابلوه ولاطفوه ، ثم قيل له : إن فى نية السلطان الإنعام عليه برتبة باشا . وأشير عليه بعدم السفر فلم يوفق للاقامة بل سافر بغير إذن الى الحجاز فحج وعاد لمصر ، وكان الوالى سعيد باشا أرسل إلى كامل باشا زوج أخته الأميرة زينب هانم أن يراقب المترجم مدة وجوده بدار السلطنة لأنه يوجس من سفره خيفة ، فأعلمه أنه تحقق من أن الرجل ليس له مقصد سوى التنزه والسياحة فقط . وأراد سعيد باشا مرة استخدامه فشكر ولم يقبل ، ولما تولى إسماعيل باشا على مصر أنعم عليه برتبة ميرميران وأمر باستخدامه عضوا فى مجلس الأحكام فاعتذر عن الاستخدام وقال للرسول : إن كنتم تجبرونى على الخدمة

لأجل رتبتكم فهاك (فرمانها) أرده لأفندينا. فأقره إسماعيل باشا على الرتبة، وأعفاه من الخدمة .

وبقى بعد ذلك فى داره وينتقل تارة إلى ضياعه يراقبها وينفق من غلتها حتى وافاه أجله، فمات محمود السيرة، عف السريرة، قليل الشاكين، كثير الشاكرين، لا يقطع فرضاً، ولا يقصر عن نافلة، مع إحسان للفقراء وسعة فى النفقة من غير تقتير ولا إسراف، وخلف ثروة واسعة وأموالا طائلة من غير عقب، لأنه لم يتزوج فى عمره إلا ببنت راغب أغا سلفه فى الخزينة دارية، وكان الهامى باشا أراد أن يزوجها لشكيب باشا مدير ديوان الأراضى الأميرية الآن، فلم تقبله واختارت المترجم فتزوجها وانتقل الى دارها فأقام معها نحو ثلاثة أعوام ثم فارقها بكرا لم يبن بها رحمه الله تعالى .

ترجمة
الشيخ محمد أكرم الأفغانى

هو الشيخ الأجل ، والعالم العامل ، القدوة الورع ، نزيل القاهرة أصله من القبيلة الأفريدية النازلة فى مضيق جبل حيدر المشهور الآن بجبل خيبر الفاصل بين الهند وبلاد الأفغان ، ولد ونشأ به ، ثم رحل إلى الهند لطلب العلم وهو فى الحادية والعشرين ، فورد لكنهوه وهى حافلة بالعلماء ، فقرأ العربية والمنطق والحكمة والعقائد والتصوف والفقه الحنفى والطب والرياضيات على الطريقة القديمة حتى صار من الفحول المشار إليهم ، مع العفة والتقوى والتشدد فى الدين . ثم ساح فى أغلب بلاد الهند وجعل أكثر إقامته فى لكنهوه ، ثم بدا له السفر إلى الحجاز لقضاء فريضة الحج فسافر إليه حوالى سنة ١٢٧٢ وبعد قضاء المناسك ورد على مصر ونزل بالأزهر برواق الأفغانية المشهور برواق السليمانية ، فاجتمع به هناك جلة العلماء مثل الشيخ حسين المرصفى وغيره ، وبلغ خبره محمداً افندى الأفغانى المشهور بالكشميرجى تاجر المطارف الكشميرية بجوار خان الخليلى ، فاجتمع به وصوب له الانتقال إلى مكان فوق حانوته . فاكترى به محلا وانتقل إليه وأقام

به نحو تسعة أشهر ، وتسامع به الأكابر مثل حسن باشا المنسترلى كتخدا مصر وإسماعيل باشا عاصم ، فسعوا إليه وزاروه ، وبلغ خبره الأمير أحمد باشا رفعت بن إبراهيم باشا والى مصر من محمد افندى الأفغانى فاشتاق لرؤيته ، إلا أنه كان على قدم السفر إلى ضيعة له ، فأرسل له خمسة وعشرين دينارا حباه بها .

ثم سافر المترجم إلى دار السلطنة واجتمع هناك بعارف حكمت بك الذى كان شيخاً للاسلام وبغيره من العلماء ، فظن عارف بك أن مجيئه لطلب منصب علمى أو فتح (تكية) أو نوال صلة ، وسأله عن ذلك ووعده بالمساعدة ، فعرفه المترجم حقيقة أمره ، وأنه ماورد إلا للسياحة . وأقام بدار السلطنة نحو عشرة أشهر ، ثم سافر منها إلى الشام ، ومر بأزمير وتسامع به علماؤها فحضر له كبيرهم إلى السفينة ، وسأله النزول وألح عليه فقبل ، وأقام عندهم عشرة أشهر أخرى قرأ لهم فيها ديباجة الفتوحات المكية ، ثم سافر على غير رغبتهم إلى الشام ، فلقى من علمائها إكراما زائدا واحتفالا كبيرا ، لاسيما من كبيرهم الشيخ سليم العطار ، وتلقوا عنه بعض رسائل منها تشريح الأفلاك فى الهيئة ، وفصوص الحكم لابن العربى . ثم أراد الشخوص إلى بغداد ، ولكنه استصعب السفر إليها برا لكبر سنه وبدانة جسمه ، فعول على السفر إليها بحرا ، وأتى مصر بنية السفر منها فى البحر الأحمر وخليج فارس إلى البصرة ، ومنها

إلى بغداد ، فلما وردها أنزله السيد أحمد الحسينى شيخ طائفة النحاسين بداره وقام بشؤونه أتم قيام ، وتراخت عزيمة المترجم عن السفر ، وبدا له أن يتخذ القاهرة دار إقامة ما شاء الله تعالى فانتقل إلى مكان اكتراه بخان الخليلى ، وأقام به بضع سنوات منكمشا عن العالم مقبلا على شأنه ، مواظبا على الإقراء والتدريس ، ولم يكن معه غير أحد تلاميذه ، وعلى هذا التلميذ قرأ شيخنا العلامة الشيخ حسن الطويل خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملى

ثم لما كانت ولاية إسماعيل باشا على مصر أجرى على المترجم عشرة دنانير فى الشهر تصرف له من الحكومة ، واستصوب أبو بكر راتب باشا ناظر الأوقاف إذ ذاك انتقال الشيخ إلى مدرسة محمد بك أبى الذهب التى بجوار الأزهر ، فانتقل اليها وسكن بها فى قاعة الشيخ الصبان الذى كان موقتا لهذه المدرسة ، وأقام المترجم بها نحو أربع سنوات ، ثم وافاه أجله المحتوم فى ربيع الثانى سنة ١٢٨٧ ، وقد جاوز التسعين ، ودفن ببستان العلماء فى مقبرة المجاورين ، ومات من غير عقب لأنه لم يتزوج فى حياته

وكان ربعة أبيض اللون واللحية كثها ، كبير الهامة ، بدينا مهيبا اذا سار فى الطريق قام له الناس من يعرفه ومن لا يعرفه ، حليما متواضعا عفيف النفس زاهدا ، مع كمال عقل وحسن فراسة . وكانت له اليد الطولى فى كافة العلوم ، وكان الشيخ مصطفى

العروسى شيخ الأزهر يعرف له قدره ، ويزوره بمدرسة محمد بك . ولما مات الشيخ الباجورى وبقى الأزهر بلا شيخ اكتفاء بالوكلاء ، ولهج الناس بضرورة إقامة شيخ ، قال الشيخ الأشمونى : لو استشرت فى ذلك ما رضيت بسوى الشيخ محمد أكرم ، فإنه رجل له جانب مع الله . وبلغ المترجم قوله فتبسم وقال : مالى وأزهرهم ، لو عرضوا على ولاية مصر ما قبلتها ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ترجمة
الشيخ محمد الأشمونى

الشافعى

أصله من أشمون جريس ، قرية من أعمال المنوفية ، وقد أخبر أنه من نسل أبى مدين التلمسانى ، ولد سنة ١٢١٨ ، وحضر الى الأزهر لطلب العلم ، فتلقى عن القويسنى ، والبولاقى ، والفضالى ، والأمير ، والباجورى ، والمرصفى وغيرهم . وكان أكثر حضوره على البولاقى ، والباجورى ، واشتهر بالذكاء ، وجودة التعليق ، وإتقان التحصيل ، إلى أن تأهل للتدريس فدرس الكتب المتداولة بالأزهر من صغيرة وكبيرة ، وقرأ المطول ، وجمع الجوامع ، وكتب التفسير ، والحديث ، والعقائد وغيرها مرات بعذوبة منطق ، وحسن إلقاء ، ولم يؤلف كتبا وإنما كتب عنه بعض الطلبة تقييدات عن قراءته للعقائد النسفية ، وكذلك قيدوا عنه نحو ثلاثين كراسة حال قراءته لمختصر السعد ، وأخذ عنه كثيرون من كبار علماء الأزهر ، وعمر عمرا طويلا حتى ألحق الأجداد بالأحفاد ، وصار جميع من بالأزهر إما تلاميذه أو ممن فى طبقتهم ، وروى عنه أن الشيخ محمد الإنبابى الذى كان شيخا على الأزهر

كان ممن تلقى عنه ، إلا أن الشيخ الإنبابى كان ينكر ذلك

ولم يعقب المترجم لأنه لم يتزوج قط ، وكان القائم بخدمته فى داره أخت له وجارية سوداء ، وعبد اسمه محبوب تبناه وزوجه من الجارية ، وفتح له حانوتا بالتربيعة وصيره من التجار ، ثم وقف على الثلاثة داره التى كان يسكنها بالباطنية بالقرب من الأزهر

ولم ينقطع عن التدريس والإفادة إلا قبل موته ببضع سنوات لضعف أصابه من الكبر ، وأبطل حركته فى آخر أيامه . وكانت وفاته ، ليلة الجمعة رابع ذى القعدة سنة ١٣٢١ عن مائة سنة وثلاث سنوات ، وأمر الخديو بتجهيزه من الأوقاف الخيرية . وأطلقوا منادين فى الطرق للانباء بوفاته ، فساروا مثنى رافعين أصواتهم بالنعى ، واجتمع فى صبيحة الوفاة الألوف من صنوف الناس لتشييع جنازته . قيل : انهم بلغوا نحو أربعين ألفا ، وحضر أيضا الوزير المنبهى المراكشى وزير الحرب بالمغرب ، وكان مارا بمصر للحج وأحب أن تكون نفقة التجهيز والمأتم من عنده فأخبروه بأمر الخديو ، وتقدم شيخ الأزهر السيد على الببلاوى للصلاة عليه بالأزهر ، وتلوا قبيل الصلاة مرثية من نظم الشيخ إبراهيم راضى مطلعها :

لاقلب للإسلام غير حزين   فاليوم فيه انهدّ ركن الدين

ثم خرجوا بالجنازة إلى القرافة ودفنوه فى مقبرة الشيخ الإنبابى

وكان رحمه الله أنيس المحضر ، كثير الدعابة والمزاح مع الطلبة ، شديد الورع ، متصفا بالزهد والتقشف ، وقلة الاحتفال برفاهة العيش ، إذا سار فى الطريق توكأ على عصاه بيد ووضع الأخرى على كتف من يسايره ، لاسيما بعد علو السن وضعف القوة . حضر مرة احتفالا مما يقام لكسر السد أو المولد النبوى، ورموا بالسهام النارية كعادتهم ، فتجاوز سهم منها مداه ووقع على الحاضرين ، فأصاب المترجم فى إحدى عينيه وذهب بها ، فرق له الخديو إذ ذاك ، ورتب له راتبا شهريا علاوة على راتب الأزهر رحمه الله تعالى

ترجمة

الغازى احمد مختار باشا

ولد فى بروسة من مدائن آسيا الصغرى شهر (سبتمبر سنة ١٨٣٧) وقدم الآستانة صغيرا ، فدخل المكتب الحربى العالى فنبغ من بين أقرانه ، ولم يخرج منه حتى نال رتبة قائم مقام وحضر حرب القرم ، ثم انتظم فى عداد أركان حرب السردار الأكرم عمر باشا حين حمل على الجبل الأسود سنة ١٨٦٠ وامتاز بالبسالة خصوصا فى مضايق اوستروك ، وكوفئ وقتئذ بترقية رتبته ، ثم مالبث أن عاد إلى الآستانة عقب إبرام الصلح فجعل أستاذا فى المكتب الحربى . وفى سنة ١٨٦٦ جعله السلطان عبد العزيز مربيا لنجله البكر يوسف أفندى عز الدين ،فرافقه إلى إيطاليا وفرنسا ، وانكلترا ،وألمانيا ، والنمسا ، فنال فى أثناء ذلك وسام (اللجيون دونور) وغيره من فرنسا وسواها ، وعاد إلى الآستانة سنة ١٨٦٧ فجعل مأمورا لتحديد التخوم بين بلاد الدولة والجبل الأسود ،فرجحت بسببه كفة الأولى إذ أبقى فى حوزتها عدة مواقع حربية مهمة ، وقوبل عمله هذا بترقيته لرتبة أمير اللواء وجعله عضوا فى المجلس

الحربى ، وفى ختام سنة ١٨٧٠ أرسل مع ضباط الجيش المرسل إلى اليمن تحت إمرة رديف باشا ، فاستولى على مدينة يدى ، ونال رتبة فريق ، ثم أقيم مقام رديف باشا فى القيادة الكبرى لنقله واليًا على الحجاز ، فتمكن من الفوز على أهل اليمن ، فرقى إلى رتبة مشير وجعل واليا على اليمن . ثم لما رجع إلى الآستانة أقيم وزيرا لوزارة النافعة فاستقال منها ، ثم جعل واليا لكريد ، ثم مشيرا للفيلق الثانى فى شوملة سنة ١٨٧٣ ، ثم مشيرا للفيلق الرابع فى ارزروم سنة ١٨٧٤ ، ثم قائدا لجيش الهرسك بدلا من رؤوف باشا سنة ١٨٧٥ فحصن مواقعها ، وقاوم الثورة حتى عقدت الهدنة فى ختام سنة ١٨٧٦ فأعيد إلى كريد واليا عليها ، ولكنه لم يبق بها شهرا واحدا حتى أمر بالذهاب إلى ارزروم لقيادة الفيلق الرابع وحماية المواقع العثمانية عند حدود القوقاز . واشتهر بالفوز فى الوقائع الحربية مع الروسيا فى جهة قرص ، والكسندر ، وبول وغيرها ، خصوصا بمعسكر جديكلر فى شهر أغسطس سنة ١٨٧٧ حتى استحق لقب الغازى ، ولما قطع الغراندوق ميخائيل الصلات بين فرقته وسائر الجيوش العثمانية تمكن هو من النجاة ، ثم استدعى إلى الآستانة فجعل ناظرا (للطوبخانة) وكان ذلك فى شهر أفريل سنة ١٨٧٨ وبعد ذلك عين قائدا لجيش يانيا ، ثم واليا لكريد مرة ثالثة فى ٢٨ أغسطس سنة

١٨٧٨ فتمكن من توطيد الأمن بها وألف بين أهلها المسلمين والمسيحيين فكتبوا عريضة رفعوها للباب العالى فى شهر أكتوبر سنة ١٨٧٨ بالثناء عليه . وبعد ذلك أرسل إلى ألبانيا لتنفيذ العهدة البرلينية المتعلقة بها ، فدوخ الثائرين ، وعاد بعد حين إلى الآستانة ولبث يقوم فيها بالمهام الجسيمة فى الجيش ، حتى أرسل إلى مصر معتمدا عاليا سنة (١)

(١) ترك فى الاصل بياض لتعيين السنة

ترجمة

الشيخ حسّونة النواوى

الحنفى

هو حسونة بن عبد الله ، أصله من نواى ، قرية تابعة لملوى من أعمال أسيوط ، ولد سنة ١٢٥٥ ، ولما ترعرع حضر الى الأزهر ، وتلقى به العلم على شيوخ وقته ، وكان حضوره الفقه الحنفى على الشيخ عبد الرحمن البحراوى ، والمعقول على الشيخ محمد الإنبابى ، والشيخ على بن خليل الأسيوطى . ثم درس به ، وأحيل عليه تدريس الفقه بمدرسة دار العلوم ومدرسة الإدارة التى سميت بعد ذلك بمدرسة الحقوق ، ودرس آخر بمسجد محمد على بالقلعة ، فكان له من مجموع وظائف هذه الدروس ماحسن به حاله ، وألف فى أثناء ذلك كتابه « سلم المسترشدين » فى الفقه الحنفى لتلاميذ مدرسة الإدارة ، ونال فى شهر شعبان سنة ١٣٠٢ كسوة التشريف من الدرجة الثانية .

ثم لما شرع الخديو عباس باشا الثانى فى أوائل توليته فى تحسين حال الأزهر ، وإصلاح نظامه ، وطريقة التدريس فيه ، وابدال بعض الكتب التى تقرأ فيه بغيرها وإدخال بعض العلوم

فيه كالرياضيات ، وتقويم البلدان والتاريخ وغيرها وذلك بسعى الشيخ محمد عبده وغيره · رأى الساعون تعذر ذلك مع وجود الشيخ محمد الإنبابى شيخا عليه ، ولم يشأ الخديو عزله دفعًا للقيل والقال ، فألف مجلسا من العلماء ينظر فى شؤونه سمى بمجلس الإدارة ، والتمس رئيسًا له يعين على إحداث النظام المطلوب ، فأشير عليه بالمترجم لما عهد فيه من الشهامة والصرامة ، وسعى له بعض كبار رجال الحكومة ممن سبق لهم التلقى عليه بمدرسة الإدارة فأقيم رئيسا لهذا المجلس ، وأخذ فى الاستبداد بأمور الأزهر حتى انحصرت فيه كلياتها وجزئياتها ، وصار هو الشيخ فى باطن الأمر حتى ضجر الشيخ محمد الإنبابى ، ثم اعتلت صحته فاستقال فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٢ ، وأقيل فى ثانى المحرم سنة ١٣١٣ .

فجاءت استقالة الشيخ على وفق مأمولهم ، وأقيم المترجم شيخا على الأزهر بدله ، فكانت توليته كالشجا فى حلوق أهله لأسباب منها أنهم يرون فيهم من هم أكبر سنا ، وأكثر علما ، وأحق بالرئاسة عليهم منه ، ومنها أنه جاء مؤيدا لإدخال بعض العلوم المسماة عندهم بالجديدة كالحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان ، وما هى إلا علوم قديمة اشتغل بها المسلمون وألفوا فيها ، وكانت تدرس بالأزهر قبل انحطاطه ، وإنما نفروا منها

لطول عهدهم بها (١) وحسبانها من علوم الافرنج ، وأنها ماأدخلت فيه إلا للقضاء على العلوم الشرعية أو تقليل الرغبة فيها ، ومنها أنه تولى بعد الشيخ الإنبابى المشهود له بالعلم والفضل والتقوى بين الخاصة والعامة ، بل لأنه كان سببا فى باطن الأمر على إرغامه على الاستقالة ، ومنها اشتهاره بشىء من الشدة والجفاء فى مخاطبة الناس ومعاملتهم مع ماداخله بعد التولية من الزهو والخيلاء ، وما كان يشيعه أعداؤه عنه من ممالأته للانكليز على هدم أركان الدين بادخال العلوم الجديدة بالأزهر حتى كثرت القالة فيه ، ويعلم الله أنه برىء مما يأفكون .

وحدثت فى مدته حادثة الوباء التى امتنع فيها المجاورون بإغراء بعض متهوريهم من الرضوخ لأوامر الحكومة ، واعتصموا بالأزهر ، وقاوموا رجال الشرطة ورموهم بالأحجار حتى أصيب محمد ماهر باشا محافظ القاهرة بحجر أدمى وجهه ، فأحيط بهم ، ورموا بالرصاص ، فجرح منهم من جرح ، ثم قبض عليهم وحكم على البعض بالسجن وعلى البعض بالنفى ، وأغلق رواق الشوام لأن أصل الحركة كانت منهم ، وهال الناس وقوع هذه الحادثة وانتصروا للمجاورين ، ووجدوا منها بابا للكلام فى الشيخ

---

(١) يريد : لبعد عهدهم بها .

ورميه بالضعف والتهاون عن الدفاع عن حرمة المسجد والمحاماة عن أهله .

ثم لما توفى الشيخ محمد المهدى العباسى مفتى القطر سنة ١٣١٥ أضيف منصب الإفتاء للمترجم ، فجمع له بينه وبين رئاسة الأزهر كما كان يجمع بينهما للشيخ العباسى أحيانا ، واستمر المترجم جامعا للمنصبين وأكثر القلوب منصرفة عنه حتى وقع الخلاف الكبير بين جمال الدين افندى قاضى قضاة مصر وبين الحكومه أواخر سنة ١٣١٦ بشأن إصلاح المحاكم الشرعية واقتراح انتداب قاضيين من مستشارى محكمة الاستئناف الأهلية ليشاركا قضاة المحكمة الشرعية العليا فى الحكم ، فلما عرض الاقتراح فى مجلس شورى القوانين أبى قاضى القضاة قبوله ، وقام المترجم بنصرته وشد أزره ، وأراد رئيس النظار مصطفى فهمى باشا مناقشته فبدرت منه كلمات عدها الوزير مهينة له ، ولم يقتصر على ذلك ، بل أرغى وأزبد وخرج من المجلس مغضبا وهو يتلو قوله تعالى ((١))

وشاع بين الناس ما أقدم عليه فأكبروه منه وحمدوا موقفه فيه ، لاسيما وقد سرى إلى الأذهان أن الحكومة تريد هدم الشريعة بهذا المشروع فانقلب ذمهم له مدحا ، وبغضهم محبة ، ولكنهم لم

---

(١) نوى المؤلف أن يثبت الآية فى الأصل فترك لها بياضاً .

يغنوا عنـه شيئا لأن النظار أحفظهم ما واجه به رئيسهم وحرك ذلك ما كان فى صدورهم منه يوم أرادوا منع الحج احتجاجا بالوباء واستفتوه ليجعلوا فتواه عصا يتوكؤون عليها كلما أرادوا منع الحج وظنوا انه يوافقهم فأخلف ظنهم ، وأفتى بعدم جواز المنع فكانت حادثته مع الوزير من أحسن مايتوصل به إلى التخلص منه ، فشكوه إلى الخديو وطلبوا منه عزله ، فاستدعاه يوم الثلاثاء ٦ المحرم سنة ١٣١٧ إلى مصيفه بالإسكندرية ومعه القاضى وألان لهما القول وناقشهما فى تعديل الاقتراح ، وتغيير مايخالف الشرع منه ، فأصر القاضى على الامتناع ، وتكلم المترجم منتصرا له ، فقال فى عرض كلامه : إن المحكمة الشرعية العليا قائمة مقام المفتى فى أكثر أحكامها ومهما يكن من التغيير فى الاقتراح فانه لايخرجه عن مخالفته للشرع لأن شرط تولية المفتى مفقود فى قضاة الاستئناف ، ثم التفت إلى القاضى وسأله : هل هو مولى من الخليفة أم من الخديو ؟ فقال : من الخليفة ، فقال : إذن يجب إذن القاضى لمن يريد مولانا الخديو إشراكه معه ولو كان أهلا ، ثم انصرفا . وكان كلام المترجم فيـه شىء من الشدة تألم منها الخديو فمال لرأى نظاره فيـه ، ولـكنه أسرها فى نفسه حتى حسم نازلة القاضى بالحسنى ، ثم أصدر أمره يوم السبت ٢٤ المحرم سنة ١٣١٧ بفصله من الأزهر والافتاء ، وإقامة ابن عمه الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى شيخا على

الأزهر ، والشيخ محمد عبده المستشار بالاستئناف الأهلى مفتياً للقطر ، بعد ما انتقل من مذهب الإمام مالك لمذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة .

ولما أشيع الأمر كثرت وفود العلماء والوجهاء على دار المترجم وانطلقت الألسنة بمدحه والثناء عليه وتعلقت به القلوب ، وأقبل الناس عليه أى إقبال ، وتحققوا أن ما كانوا يتهمونه به من قبل لم يكن إلا عن محض توهم . والحقيقة أن الرجل وإن لم يبلغ شأو طبقته فى العلم فَلم يعهد عليه ما يشين دينه ولا دنياه ، بل عرف بالعفة ، وعلو الهمة ، ونقاء اليد من الرشى ، لولا جفاء يبدر بعض الأحيان فى منطقه ، وشدة فيه يراها بعض الناس غلظة ويعدها البعض شهامة لحفظ ناموس العلم ، خصوصا مع الكبراء الذين أفسدهم تملق علماء السوء ، وحملهم على الاستهانة بهذه الطائفة .

ولم يزل المترجم عاكفا فى داره ، مقبلا على شأنه ، وحببت إليه العزلة فابتنى داراً بجهة القبة انتقل إليها وسكنها ، ولم يقم ابن عمه فى الأزهر طويلا بل توفى فجأة بعد نحو شهر من ولايته سنة ١٣١٧ ، فولى على الأزهر الشيخ سليم مطر البشرى المالكى ثم استقال فأقيل يوم الأحد ٢ ذى الحجة سنة ١٣٢٠ ، وأراد الخديو إعادة المترجم أو تولية الشيخ

محمد بخيت فلم يوافق النظار وتولى الشيخ على بن محمد البيلاوى المالكى نقيب الأشراف على الأزهر ، ثم استقال يوم الثلاثاء ٩ المحرم ١٣٢٣ فأقيل يوم السبت ١٢ منه ، وصدر الأمر العالى يوم الأحد ١٣ منه باقامة الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى ، ثم استقال فأقيل بأمر صدر يوم الأربعاء ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٢٤ (ورتب للشيخ الشربينى ١٥ ديناراً مصريا فى الشهر من الأوقاف الخيرية ليكمل مرتبه ٢٥ ديناراً)(١) .

وصدر أمر آخر فى ذلك اليوم باعادة المترجم شيخا على الأزهر وهى توليته الثانية ، ولكنه لم يمكث فيها طويلا بسبب اختلال الأحوال ، ونزوع المجاورين للفتن ، وذهاب هيبة المشايخ ، فاستقال سنة ١٣٢٧ .

وأعيد إلى الأزهر الشيخ سليم البشرى ، ولزم المترجم داره التى بالقبة يزوره محبوه ويزورهم ، ونال فى توليته الأولى الوسام المجيدى من الدرجة الثانية ، وجعل حينذاك عضوا من الأعضاء الدائمين بمجلس شورى القوانين ومن شرط هؤلاء الأعضاء أنهم لا يعزلون ، ولهذا بقى المترجم به بعد عزله من الأزهر والإفتاء ، حتى ألغى المجلس

---

(١) هذه الجملة مزيدة في هامش الأصل بخط المؤلف بقلم الرصاص .

واستعيض عنه بالجمعية التشريعية سنة ١٣٣٢ ، فانفصل عنه بحكم الإلغاء .

وظل مقيما فى داره التى بالقبة فى عزلة عن الناس إلى آخر حياته ، وقد أصيب بأمراض ووهن فى القوى وضعف فى النظر ، حتى توفى صباح يوم الأحد ٢٤ شوال سنة ١٣٤٣ ، ودفن فى العصر بالمجاورين ، تغمده الله برحمته .

ترجمة
الشيخ احمد الرفاعى
المالكى [1]

اشتغل بالحضور فى الأزهر على مشايخ وقته حتى تأهل للتدريس، فدرّس الكتب المتداولة، وقرأ عليه كثيرون من كبار علمائه الآن كالشيخ محمد عبده، والشيخ محمد بخيت، والشيخ أبى الفضل الجيزاوىّ، والشيخ محمد حسنين العدوىّ، والشيخ محمد النجدىّ الشرقاوىّ وغيرهم، وقد أصبح فى أواخر أيامه وليس فى الأزهر الا من هم تلاميذه أو فى طبقتهم، إلا الشيخ الشربينىّ والشيخ البشرىّ

وكان من عادته ألا يقطع الإقراء طول السنة، ولا يسامح فى أوقات المسامحات ولا يقعده عن الاشتغال إلا المرض، فقرأ الكتب المتداولة مرارا ومهر فيها بسبب كثرة اشتغاله حتى صار المستعصى منها عنده بمنزلة السهل عند غيره، وأتقن فنّ التجويد فجعل شيخا على المقارئ مدة طويلة. ولما أقيم الشيخ حسونه النواوى شيخا على الأزهر فى المرة الأولى ولم يجد إقبالا من

(١) مكتوب فى الهامش بخط المؤلف: «له ترجمة فى اليواقيت الثمينة للبشير الظافر ص١٨»

علمائه ، صاحبه المترجم وتحبب إليه ولازمه فى غدواته وروحاته.
ثم لما انحرف الخديو عباس باشا الثانى عن الشيخ محمد عبده مفتى
مصر والعضو بمجلس إدارة الأزهر وأراد كف يده عنه ، ساعده
المترجم على ذلك وأخذ فى معاكسة الشيخ وتدبير المكايد له ،
وتنفير الأزهريين منه ، وتقرب من الخديو وأكثر من الترداد
على قصر القبة ومداخلة الحاشية حتى حظى عنده وأقبل عليه
إقبالا عظيما ، فلما عزل الشيخ سليما البشرى عن الأزهر فى ٢ ذى الحجة
سنه ١٣٢٠ وأراد إرجاع الشيخ حسونه النواوى أو تنصيب
الشيخ محمد بخيت ولم يرض النظار ، رشح المترجم واستدعاه
وأعلمه بانتخابه له ، فعاد إلى داره جذلا وأشاع الأمر وهيأ السكر
لشرب المهنئين والرمل الأصفر لفرشه بصحن الدار ، وكاد الأمر
يتم له لولا أن بعض مبغضيه من المقربين للخديو صرفه عن توليته
وذكر عنه هنات الله أعلم بها ، فعدل الخديو عن تنصيبه إلا أنه
التمس لنفسه مخرجا من وعده الذى وعده به ، فأعمل بعض المقربين
الحيلة واستدعوه بحضرة الخديو وسألوه عن قبوله للتولية فقال لهم :
نعم ولّأنى مولاى وقبلت ، فأخذوا يذكرون صعوبة مراس أهل
الأزهر والمشاق التى يعانيها شيخهم لإخضاعهم ، ولمحوا له بأنهم
لا يظنونه يقوى عليهم فقال: ومن أهل الأزهر ؟ أنا أدوسهم بتمدّى

فقالوا إنك : ستكون مع الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان العضوين بمجلس الإدارة فهل ترضى بأن يشاركاك فى الإدارة ؟ وكيف يكون شأنك معهما ؟ فقال : كلا لا أرضى بأن يشاركانى بل أشترط لقبول التولية عزلهما وهما عندى كافران لا يوثق بهما ، فاستغرب الخديو فى الضحك وقال : شرطك لا يمكن تنفيذه ، ونحن نريحك من رئاسة الأزهر ، ونعوضك عنها بشئ نجريه عليك من الأوقاف ، فأسقط فى يده ورضى مرغما ثم صرفوه

ثم وقعت منه فى أواخر أيامه زلة ، قيل إنه تصرف فى وقف بغير وجه شرعى ولكن الله لطف به فلم يقع له بسبب ذلك غير فصله من المقارئ ، وكثرت غمومه وهمومه لما لاكته الألسنة فى هذه المسئلة ، فانقطع عن التدريس لمرض أصابه إلى أن توفى بعد ظهر يوم الإثنين ١٨ صفر سنة ١٣٢٥ ودفن يوم الثلاثاء وأذنوا له على المآذن كالعادة فى موت كبار العلماء ، وقد بلغ من السن نحو خمس وسبعين سنة ، وكان قصيرا دحداحا خفيف الحركة ، رحمه الله تعالى وتجاوز عنه

وله من المؤلفات حاشيته على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك ، طبعت بمصر

ترجمة
الشيخ محمد العباسي المهدي

الحنفي

هو ابن الشيخ محمد أمين ، ابن الشيخ محمد المهدي الكبير الشافعي ، كان جده المذكور من الأقباط ، فأسلم على يد الشيخ العلامة محمد الحفني ، وقرأ عليه وعلى أخيه الشيخ يوسف الحفني وغيرهما حتى صار من كبار العلماء ، وترشح لرئاسة الأزهر بعد الشيخ الشرقاوي ولكنها لم تتم له ، وتولاها الشنواني ، وقد أطال الجبرتي في ترجمته . ثم نشأ ولده الشيخ محمد أمين عالمًا حنفيًا وتولى الفتوى بمصر زمنا ، وتوفي سنة ١٢٤٧ .

وولد المترجم باسكندرية سنة ١٢٤٣ فقرأ بها بعض القرآن ، ثم حضر إلى القاهرة سنة ١٢٥٥ فأتم حفظه ، واشتغل بالعلم سنة ١٢٥٦ فقرأ على الشيخ إبراهيم السقاء الشافعي ، والشيخ خليل الرشيدي الحنفي ، والشيخ البلتاني وغيرهم ، ثم صدر أمر إبراهيم باشا ابن محمد علي بتوليته إفتاء الديار المصرية في منتصف شهر ذي القعدة سنة ١٢٦٤ وهو في نحو الحادية والعشرين من سنيه ،

ولم يتأهل بعد لمثل هذا المنصب الكبير ، ويقال إن السبب فى ذلك عارف بك الذى تولى القضاء بمصر ، وكانت له صلة بأبى المترجم . فلما ذهب إبراهيم باشا إلى القسطنطينية ليتسلم من السلطان مرسوم ولايته على مصر قابله عارف بك ، وكان إذ ذاك شيخًا للإسلام وأوصاه خيرا بذرية الشيخ المهدى ، وأن يولى منهم من يصلح لمنصب أبيه ، فكان همه السؤال عنهم بعد عودته لمصر ، وطلب المترجم لحضرته فصادفوه فى درس الشيخ السقاء يحضر مقدمة مختصر السعد ، فركب إليه وهو بين الخوف والرجاء . ولما قابله أثنى عليه لاشتغاله بالعلم ، ثم أنبأه بأنه ولاه منصب الفتوى بمصر ، وعزل عنه الشيخ أحمد التميمى الخليلى وخلع عليه خلعة هذا المنصب ، ثم عقد له مجلسًا بالقلعة حضرة حسن باشا المنسترلى والشيخ مصطفى العروسى وغيرهما ، فأقروا على إقامة أمين للفتوى يقوم بشؤونها حتى يتأهل صاحبها لها ويباشرها بنفسه ، واختاروا له الشيخ خليلا الرشيدى الحنفى بدل الشيخ على البقلى أمين فتوى التميمى ، ونزل المترجم من القلعة بموكب كبير من العلماء والأمراء ووفد الناس على داره للتهنئة ، ومدحه الشعراء ، فمن ذلك قول الشيخ محمد شهاب :

عز يا عزة الحمى أن تقاسى

بمهاة الصريم فيما تقاسى

ومنها قوله :

تب مفتى الهوى وتبت يداه
ضل شرعىّ نهجه والسياسى

فدعيه ياعز عز اصطبارى
إن فتواه فتنة للناس

ولئن قلت أى فتوى البرايا
حكمت بالنصوص دون التباس

وارتضاها الزمان قل لى وأرخ
قلت فتوى مهديه العباسى

١٢٦٤

وهى قصيدة طويلة ألحق بها هذه الأبيات الثلاثة مشيراً فيها إلى التميمى وإلى الرشيدى أمين الفتوى الجديد :

قلت لما أن تم بدر التميمى
واعتراه نقص الخسوف الشديد

رجع الدر بالفتاوى إلى ما
كان فيه من المكان المشيد

فلنعم الرشيد يا ابن أمين
ولنعم الأمين ياابن الرشيدى

وروى الفاضل محمد افندى التميمى فى الترجمة التى جمعها لأبيه

الشيخ أحمد التميمى أن سبب عزله عن الإفتاء أحقاد قديمة كانت فى صدر ابراهيم باشا منه بسبب معارضته له فى أمور تخالف الشرع كان يريدها ويعارضه الشيخ فيها ، فلا يجد بداً من الإذعان بسبب إقبال أبيه محمد علىّ على الشيخ ، فلما تخلى عن ولاية مصر وتولاها إبراهيم كان أكبر همه عزله عن الإفتاء ، انتهى .

ثم أكب المترجم على الاشتغال بالعلم خصوصًا الفقه حتى نال منه حظاً وافرًا ، وجلس للتدريس بالأزهر لإقراء الدر المختار فقرأ منه إلى كتاب الطلاق وأكمل قراءته فى داره ، وقرأ الأشباه والنظائر فى داره أيضًا ، وباشر أمور الفتوى بعفة وأمانة وتدقيق وتحقيق ، واشتهر بين الناس بالحزم والعزم وعدم ممالأة الحكام ، وحسبك وقوفه فى وجه عباس باشا الأول وتعريضه نفسه للتهلكة صيانة لما استودع من أمانة العلم ، وسبب ذلك أن هذا الوالى أراد أن يمتلك جميع ما بيد ذرية جده محمد على مدعيا أنه ورد مصر لا يمتلك شيئًا ، فكل ما خلفه لذريته إنما هو من مال الأمة يجب رده إليها ، ووضعه بيد أمينها المتولى شؤونها ، واستفتى المترجم فلم يوافقه وأصر على الامتناع ، ولم يحفل بوعيده وتهديده حتى طلبه فجأة إلى بنها فسافر إليها وهو موقن بالهلاك ، وكان معه عند طلبه الشيخ أبو العلاء الخلفاوى ، فسافر معه لمؤانسته ومواساته ، فلما وصلا قصر بنها روجع المترجم فى الفتوى

فأصر على قوله الأول ، فأمر بهما فأنزلا إلى سفينة بخارية سافرت بهما ليلا فى النيل لنفى المترجم إلى أبى قير ، واعتراه لشدة وجله زحير كاد يودى به وهو مع ذلك مصر على قوله والشيخ أبو العلاء يهوّن عليه الأمر ويؤانسه بالكلام ، إلى أن صدر الأمر بارجاع السفينة ، وأنزلا منها وأمرا بالسفر إلى القاهرة وسلم الله ، فكانت هذه الحادثة سببًا لعلو قدر المترجم فى النفوس وإعظام الولاة فمن دونهم لشأنه ، وتسبب منها أيضًا إقباله على الشيخ أبى العلاء المذكور ، وسعيه له فى المناصب التى تولاها وعظم بها أمره بعد ذلك .

ثم لما كانت سنة ١٢٨٧ والمتولى على القطر الخديو إسماعيل باشا ، وكان انحرف عن الشيخ مصطفى العروسى شيخ الأزهر ، فأراد عزله ولكنه خشى الفتنة ، لأنه شيء لم يقع من قبل لأحد من مشايخ الأزهر ، فأخذ فى جس نبض العلماء وسبر غورهم فى ذلك ، فهوّن عليه الشيخ حسن العدوى الأمر ، وأوضح له أنه وكيل الخليفة وللخليفة أن يعزل من يشاء ، والوكيل له ما للأصيل ، فسر الخديو وبادر إلى عزل الشيخ العروسى فى أواخر السنة المذكورة ، وكان العدوى يطمع فيها ، وما قال ما قال إلا توطئة لنفسه فأخلف الله ظنه ، وصدر أمر الخديو فى منتصف شوال بتوليه المترجم والجمع له بين منصب الإفتاء ومنصب الأزهر ،

فاستدعاه وخلع عليه وأنزله من عنده بالموكب المعتاد فباشر شؤون منصبه بحزم وعزم وتؤدة وتعقل ، وكان أول ماصدر منه سعيه لدى الخديو باعادة ما كان لأهل الأزهر من المرتبات التى أبطلت زمن عباس باشا ، فوافقه على ذلك وأعيدت المرتبات الشهرية والسنوية ، ثم استصدر أمرا من الخديو بوضع قانون للتدريس ، فاجابه إلى ذلك ووضع قانون الامتحان ، وكانوا قبل ذلك لا يمتحنون ، بل كان من تأهل للتدريس تصدر له ، فيحضر أول درس له شيوخه وغيرهم من كبار العلماء ، ويناقشونه فان وجدوه أهلا أقروه وإلا أقاموه .

ولم يزل المترجم سائرًا فى طريقه المحمود ، ملحوظاً بعين التبجيل من الحكام ، وبين الخاص والعام ، حتى ثارت الثورة العرابية المشهورة ، ورأى فيه العرابيون أنه ليس بالرجل الذى يوافقهم ويساعدهم فى مطالبهم ، فكان من جملة ما طلبه عرابى باشا من الخديو لما زحف بالجيش على قصر عابدين عزل المترجم من الأزهر ، فعزل عنه فى المحرم سنة ١٢٩٩ ، وتولى عليه بدله الشيخ محمد الإنبابى ، وانفرد هو بالافتاء ، ثم تجسمت الفتنة وجاهر العرابيون بطلب عزل الخديو ، وكتبوا قرارا بذلك جبروا العلماء والوجهاء على التوقيع عليه ، فامتنع المترجم من موافقتهم على ذلك ، وقال لحامل القرار : أنا لا أوقع بيدى ، فاذا كان فى

الأمر غصب فان خاتمى معى خذوه ووقعوا أنتم بأيديكم كما تشاءون.
فانحرف عنه العرابيون وضايقوه وبثوا عليه العيون حتى احتجب في داره التي على الخليج بالقرب من مدرسة الفخرى المشهورة بجامع البنات، وتحامى الناس عن زيارته، وصار لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة فى أقرب مسجد إليه ، ومرت عليه أيام وليال قضاها فى انتظار حتفه فى كل ساعة تمر به ، حتى كانت الهزيمة الكبرى على العرابيين ، وتشتت شملهم ، وعود الخديو إلى مقر ملكه فى ١٢ ذى القعدة من تلك السنة ، فذهب المترجم فيمن ذهب للسلام عليه وتهنئته بالظفر ، ودخل مع العلماء فخصه الخديو بترحيب ورعاية زيادة عمن معه من العلماء وتقديرا لحسن بلائه فى الإخلاص له مدة الفتنة ، ولحظ الشيخ الإنبابى شيخ الأزهر إغماضا عنه من الخديو ، وخشى أن يعزله ليعيد العباسى ، فقال : بيدى لا بيد عمرو ، واستقال بعد أيام ، فأصدر الخديو أمره يوم الأحد ١٨ منه باعادة المترجم إلى الأزهر ، علاوة على منصب الإفتاء الذى بيده ، ونصه موجها لرئيس النظار :

(إنه بناء على استعفاء حضرة الأستاذ الشيخ محمد الإنبابى من وظيفة مشيخة الجامع الأزهر ، ووثوقنا بفضائل وعالمية حضرة الأستاذ الشيخ محمد العباسى المهدى ، قد اقتضت إرادتنا توجيه هذه الوظيفة لعهدته كما كانت قبلا ، علاوة على وظيفة إفتاء السادة

الحنفية المتحلى بها من السابق ، وصدر أمرنا للمومى إليه بذلك فى تاريخه ، ولزم إصدار هذا لدولتكم إشعارا بما ذكر فى ١٢ أكتوبر سنة ٨٢ الموافق ١٨ ذى القعدة سنة ٩٩)

فتمت للمترجم رئاسة الأزهر رغم أنف كثيرين ، فان بعض علماء الأزهر سعوا لتنصيب الشيخ عبد الهادى نجا الابيارى ، وكتبوا كتابة بذلك وأخذوا يوقعون عليها ويطوفون بها على العلماء ، فلم يشعروا إلا وقد فاجأهم الأمر بإعادة المترجم ، وذهب سعيهم وتعبهم أدراج الرياح .

ثم استمر المترجم جامعًا للمنصبين قائما بشؤونهما أتم قيام ، حتى كانت سنة ١٣٠٤ وفيها بلغ الخديو أن جماعة من الأعيان والتجار مثل محمد باشا السيوفى ، وأخيه أحمد باشا يجتمعون للسمر بدار المترجم فى أغلب الليالى ، فيتكلمون فى الأمور السياسية ويظهرون أسفهم من وجود الإنكليز بمصر ، وموافقة الحكومة لهم فيما يحاولون ، وغير ذلك من هذه الشؤون ، فحنق الخديو وأرسل لمحمد باشا السيوفى بالحضور فلم يجدوه ، بل وجدوا أخاه أحمد باشا ، فحضر الى القصر وقابل الخديو ، فوبخه توبيخًا شديدا وقال له : يخيل لى أنكم تريدون إعادة الثورة العرابية ، فتبرأ من ذلك وحلف أن اجتماعهم لم يكن إلا بقصد السمر والائتناس ، ثم قابل الخديو المترجم فى إحدى المقابلات الاعتيادية فلم يهش له كعادته

بل قال له وقت الانصراف : ياحضرة الأستاذ، الأجدر بالانسان أن يشتغل بأمور نفسه، ولا يتدخل فيما لا يعنيه ويجمع الجمعيات بداره. فلم يجبه المترجم إلا بقوله : أطال الله عمر أفندينا وأدام عليه العافية، إننى ضعفت عن حمل أثقال الأزهر، فأسأله أن يعفينى منه. ولم يكن الخديو يتوقع منه هذا الكلام، بل كان يظنه يجيب بجواب يصرف المسألة بسلام، فغضب وقال مستفهما : ومن الإفتاء أيضا؟ فقال له : نعم يا أفندينا ومن الافتاء أيضا، ثم انصرف

ولم يكن المترجم ممن يعزب عنهم أن مثل هذا السبب لا يدعو الى الاستقالة، وخصوصا أن الخديو صرفه بالحسنى مع من اتهم معه، ولكن كان هناك سبب أقوى أغضب رئيس النظار نوبار باشا الأرمنى، وذلك لحادثة رفعت عنها دعوى أمام المحاكم الأهلية، واستدعى الأمر طلب كشف وجه إحدى المخدرات للتحقق منها، فامتنعت عن الاسفار محتجة بعدم جوازه فى الشريعة، واستفتى المترجم فى النازلة، فأفتى بعدم الجواز وشدد فى المسألة، فشكا رئيس النظار للخديو وأوضح له أن الشيخ أصبح عقبة أمام القضاة معارضا لأحكام القضاء، ويقال إنه طلب منه إما أن يقيله من الوزارة، أو يعزل المترجم. فلما قال الخديو للمترجم ما قال تيقن أن المراد عزله فاستقال. فأمر الخديو يوم الثلاثاء ٣ ربيع الثانى من السنة المذكورة بإعادة الشيخ محمد الإنبابى للأزهر، وإقامة الشيخ محمد البناء للافتاء.

وبقى المترجم بداره التى على الخليج، واشتغل باصلاح قسم منها تشعث فأعاده إلى رونقه الأول. وصبغ حيطانه بالأصباغ، وهو القسم المطل على الخليج. وصار يمضى وقته بالنظر فى شؤونه الخاصة والاشتغال بالعلم، إلى أن أعيد إلى الإفتاء فقط فى (١)

فبقى به إلى وفاته. وأصيب فى آخر أيامه بفالج وهو يتوضأ لصلاة الجمعة أبطل حركته. ثم تعافى قليلا وصار يخرج فى عجلته للتنزه بدون فرّجية بل بعباءة بيضاء من الصوف. وأشير عليه بالإقامة بحلوان لجفافها، فانتقل إليها وأقام بها برهة لم يستفد فيها شيئا، فعاد لداره بالقاهرة. ووافته منيته فى الساعة الخامسة من ليلة الأربعاء ١٣ رجب سنة ١٣١٥ عن اثنتين وسبعين سنة، بعد أن لازمه المرض نحو أربع سنوات. فأذن له على المآذن. وحزن الناس لموته حزنا شديدا. وتكاثرت الجموع على داره لتشييع جنازته، فقيل إن عدد المشيعين بلغ نحو أربعين ألفا، والمصلين عليه نحو خمسة آلاف. ثم دفن بقرافة المجاورين فى زاوية الأستاذ الحفنى جنب أبيه وجده، ورثاه كثير من الشعراء جمعت مراثيهم فى رسالة ألفها الشيخ عثمان الموصلى نزيل القاهرة، وسماها «المراثى الموصلية فى العلماء المصرية»، لأنه أضاف إليها ما رُثى به الشيخ

---

(١) نوى المؤلف أن يثبت التاريخ، فترك له بياضا

عبد الرحمن الرافعى مفتى الاسكندرية ، والشيخ سليم القلعاوى شيخ مسجد القلعة ، والشيخ محمد المغربى المتوفون هذه السنة أيضا

وكان المترجم رحمه الله ربعة إلى الطول . مليح الوجه ، منور الشيبة ، معتدل القامة . ذا هيبة ووقار ، مات عن ثروة طائلة وولدين هما الشيخ عبد الخالق المهدى ، والشيخ أمين ، ماتا بعده الواحد تلو الآخر . ولم يؤلف من التآليف سوى مجموع فتاواه الذى سماه (الفتاوى المهدية ، فى الوقائع المصرية) . طبع بمصر سنة ١٣٠١ فى فى ثمانية أجزاء كبار . وعاش فى عز وتبجيل مدة حياته ، وتولى الإفتاء مدة إبراهيم باشا . وعباس باشا الأول . وسعيد باشا . وإسماعيل باشا . وتوفيق باشا ، أى أربعين سنة من سنة ١٢٦٤ الى سنة ١٣٠٤ لم يعزل فيها ، فلم تحفظ عليه بادرة خطأ أو مخالفة للشرع ، وسبب ذلك أنه تولاه وهو صغير والعيون شاخصة إليه ، فكان لا يفتى فتوى الا بعد المراجعة والتدقيق والتعب الكثير . فحصلت له بذلك ملكة فيه حتى صار معدوم النظير ، لا يجاريه مجار فى هذا المضمار وأضيف إلى ذلك ما كان عليه من التقوى والتشدد فى أمر الدين ، حتى كانت مواقفه أمام الولاة لا تزيده إلا رفعة فى عيونهم ، لعلمهم أنه لا يريد إلا نصرة الحق ، فأحبوه وأغدقوا عليه بالإنعام ، ومن مواقفه غير ماذكرناه أن الخديو إسماعيل باشا أراد مرة أن يستولى على الأوقاف الأهلية ويعوض عنها أهلها ما يقوم بمعاشهم ،

فاستفتاه فى ذلك فتوقف ، وأفتاه بعضهم بالجواز ، فتكدر منه وجمع بينه وبين مخالفيه . فناظرهم وفاز عليهم بعد ما ألفوا رسائل فى الحادثة وأكثروا من الجلبة ، ولم يقتصر الولاة على مشاورته فى الأمور الدينية المختصة بمنصبه ، بل كانوا يستشيرون فى غيرها من معضلات الأمور ، لما عرفوه فيه من سعة المدارك وجودة الرأى ، حتى إن إسماعيل باشا لما عزل عن مصر قال لولده توفيق باشا فيما أوصاه به : احتفظ يابنى بالشيخ المهدى فإنه رجل لانظير له . وبالجملة فمحاسن المترجم كثيرة ، ولم يكن فيه ما يشينه سوى ما كان يرميه به بعض شانئيه من الإمساك والتقتير ، ويضعون عليه النوادر الخارجة عن حد المعقول ، والمعروف عنه المشاهد للقاصى والدانى أن داره كانت مفتوحة للصادر والوارد ، لاتخلو مائدته يوما عنهم ، وحسبنا أنه كان يخرج زكاة أمواله كل سنة ، ويفرقها على المستحقين . رحمه الله رحمة واسعة وأكثر فى الأمة من أمثاله

وكان حائزا لكسوة التشريف من الدرجة الأولى ، ومنحه الخديو عباس باشا الثانى الوسام العثمانى الأول فى ٢١ صفر سنة ١٣١٠ هو وشيخ الأزهر الشيخ محمد الإنبابى ، وقاضى القضاة جمال الدين أفندى ، وسبب ذلك أن السيد توفيقا البكرى نقيب الأشراف سافر فى هذه السنة إلى دار السلطنة ، وتوصل بمساعدة

الشيخ أبى الهدى الصيادى الى مقابلة السلطان عبد الحميد، فأنعم عليه بهذا الوسام وبرتبة قضاء عسكر الأناضول، فلما بلغ مسامع الخديو أحب أن لا يكون ممتازا عن كبار الشيوخ وهم القاضى والمفتى وشيخ الأزهر، فأنعم عليهم بهذا الوسام وأرسل إلى السلطان ملتمسًا الإنعام على المفتى وشيخ الأزهر برتبة قضاء عسكر الأناضول، وعلى القاضى برتبه قضاء عسكر الرومللى، لأنه كان حائزا لرتبة الأناضول، لكن طلبه لم يصادف قبولا.

وأحيل على المترجم قديما أمر انتقاء القضاة الشرعيين والمفتين الذين يقامون فى ولايات القطر ومراكزه، فكان يختار ذوى الكفايات ويتحرى فيهم النجابة والذكاء والديانة، ويحامى عنهم لدى الحكام، ويشد أزرهم، فحصل له بذلك مقام لدى أهل العلم المرشحين لهذه المناصب، وقصدوه ووجهوا وجوههم شطر داره، وهو مع ذلك لا يميل مع الهوى فى تنصيبهم، ولو كان ممن يمد اليد لجمع من هذا الوجه شيئا كثيرا.

ثم رأت الحكومة أن يكون أمر تنصيبهم منوطا بلجنة تؤلف بنظارة الحقانية برئاسة وكيلها إذ ذاك بطرس غالى باشا، وعرضوا على المترجم أن يكون من أعضاء تلك اللجنة فأبى

وكان له فى المحاماة عن أهل الأزهر ومساعدتهم القدح المعلى وتروى عنه مواقف فى ذلك ، منها : أن الشيخ مصطفى العروسى مدة توليه على الأزهر استصدر من الخديو إسماعيل باشا أمرا بنفى الشيخ حسن العدوى إلى إسنا ، وكاد ينفذ فيه لولا أنه استغاث بالمترجم ، فقام بناصره وذهب للخديو مستشفعا ، ولجّ وألحّ حتى عفى عن الشيخ

ترجمة

السيد على الببلاوى

المالكى

هو على بن محمد بن احمد المالكى الحسنى الإدريسى من ببلاو ، قرية تابعة لعمل ديروط الشريف التابعة لمديرية أسيوط ، ولد بها فى شهر رجب سنة ١٢٥١ ونشأ بها فحفظ القرآن ومبادئ العلوم وحضر للأزهر سنة ١٢٦٩ فقرأ به على شيوخ وقته كالشيخ محمد عليش ، والشيخ منصور كساب ، والسيد محمد الصاوى ، والشيخ على مرزوق ، والشيخ إبراهيم السنجلفى ، والشيخ أحمد الإسماعيلى ، والشيخ محمد الإنبابى ، والشيخ على بن خليل الأسيوطى ، وكان له به نوع اختصاص فى الحضور ، وصحب مدة حضوره الشيخ حسونه النواوى ، فكانا يسكنان معا ، ويحضران معا الدروس إلا فى درس الفقه فان المترجم كان مالكيا والشيخ حسونه حنفيا ، ولم يزل يجد ويجتهد حتى تأهل للتدريس فدرس بالأزهر والمسجد الحسينى الكتب المتداولة ، وفى سنة ١٢٨٠ سافر للحجاز فحج ، ثم استخدم بدار الكتب الخديوية بالقاهرة مغيرًا ، حتى

كانت الثورة العرابية ، واتجهت الأنظار لتنصيب المصريين فى المناصب الكبيرة فساعده صديقه ومريده محمود سامى باشا البارودى على إقامته ناظرا على هذه الدار سنة ١٢٩٩ فتمت له نظارتها بعد ما سعى كثيرون لها فلم يوفقوا .

ثم لما هدأت الأمور وأطفئت الفتنة كان المترجم يتوقع القبض عليه كما فعل بكثيرين للعلم بأنه من صنائع البارودى ، ولكن الله سلمه ولم يشأ الخديو أذاته لاشتهاره عنده بالصلاح والتقوى والبعد عن الفتن ، فاكتفوا بفصله من دار الكتب وجبروا خاطره بالخطابة فى المسجد الحسينى ، ثم جعل شيخا لخدمة هذا المسجد فى ثانى صفر سنة ١٣١١ . ولما غضب الخديو على السيد توفيق البكرى نقيب الأشراف وشيخ الطوائف الصوفية وأمره بالاستقالة من النقابة فاستقال ، سعى للمترجم صديقه ورفيقه فى الحضور الشيخ حسونه النواوى ، وكان إذ ذاك رئيسا لمجلس إدارة الأزهر قبيل إقامته شيخا عليه ، فقبل الخديو منه وأقام المترجم نقيبا للأشراف فى ٦ شوال سنة ١٣١٢ فاعتنى بضبط مدخولها وجدد من أوقافها ست دور بناها بجهة الحلمية ، وصار يصرف الاستحقاقات فى أوقاتها ، وسئل فى رئاسة الخدمة بالمسجد الحسينى ، فقال : إن كانت النقابة تمنعنى من خدمة سيدنا الحسين لا أقبلها . فأبقى كما كان .

وأقام المترجم في النقابة نحو ثماني سنوات يجدد من معالمها ويحيي مادرس منها ، حتى نقل منها شيخا إلى الأزهر ، وكان سبب ذلك أن الخديو انحرف عن شيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى وانتهى الأمر باستقالته يوم الأحد ٢ ذى الحجة سنة ١٣٢٠ ، وأراد الخديو إعادة الشيخ حسونه النواوى أو تنصيب الشيخ محمد بخيت المطيعى فلم يوافق النظار على ذلك فرشح الشيخ أحمد الرفاعى المالكى وأعلمه بذلك ، وكادت تتم له لولا عوارض اعترضت ، ثم سعى الشيخ على يوسف صاحب صحيفة المؤيد ومن أكبر المقربين من الخديو للشيخ أمين المهدى ابن العلامة محمد المهدى العباسى فرد عليه بأنه لا يصلح لخموله وعدم توليته أموراً قبل الآن ، فأجاب بأنه وإن كان كذلك فهو من بيت علم وغنى ، تربى فى نعمه فلا تطمح نفسه لشيء مما فى الأيدى ، وتدربه على الأمور قريب مدرك ، فرضى الخديو به ، ولكن النظار لم يوافقوه عليه لأمور نقمها عليه ناظر الحقانية مدة ماأقامه عضوا بالمجلس الحسبى ، فحار الخديو وحنق ، وطلب دفتر أسماء العلماء فوقع نظره على اسم المترجم فارتضاه وجنح إلى توليته ، ولم يكن خطر على بال أحد ، وساعد الشيخ على يوسف على ذلك ليتمكن من رد السيد محمد توفيق البكرى إلى النقابة فتم له الأمر ورضى به النظار وأعيد البكرى إلى النقابة

مضافة إلى ما بيده من رئاسة الطرق الصوفية ، وصدر الأمر فى ٢ ذى الحجة باقالة الشيخ سليم من الأزهر وتنصيب المترجم فلما ذهب لشكر الخديو كالعادة استصحب معه ولده الأصغر السيد محموداً والتمس إقامته شيخا على المسجد الحسينى بدله كما أقيم أخوه الأكبر السيد محمد قبله خطيبا له فقبل ملتمسه وأجيبت رغبته.

وكان الخديو فى ذلك الحين منحرفا عن الشيخ محمد عبده مفتى مصر والعضو بمجلس إدارة الأزهر وصاحب الكلمة العليا فيه ، فكان يظن أن المترجم يوافقه فى معاكسة الشيخ ومعارضته وعرقلة مساعيه . فأخطأ ظنه ، لان المترجم مال للشيخ كل الميل ووافقه فى كل مشروع ، واتحد به واندرج فيه حتى لم يكن له من الرئاسة غير رسومها والكلمة كلمة المفتى ، وعوتب فى ذلك من أحد المقربين فاعتذر بأن الرجل لا يريد غير الإصلاح فلا يرى وجهًا لمعارضته فكان ذلك سببا لميل الخديو عنه بعد إقباله عليه ، وضعف المفتى عن معاندة الخديو ولم يجد من الإنكليز المساعدة التى كان يرتكن عليها فعزم على نفض يده من الأزهر ، ورأى المترجم أن الأمور لا تجرى على مرغوبه فاستقال من الأزهر يوم الثلاثاء ٩ المحرم سنة ١٣٢٣ فأقيل يوم السبت ١٢ منه وأقيم بدله الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى واستقال أيضا المفتى من مجلس الإدارة مرغما .

وأقام بعد ذلك المترجم بداره التى بجهة المناصرة بعد أن رتب

له الخديو خمسة وعشرين دينارا مصريا من الأوقاف الخيرية تصرف له كل شهر ، مواظبا على كثرة تلاوة القرآن كعادته ، مقبلا على العبادة ، حتى ازداد به المرض سنة ١٣٢٣ ، وتوفاه الله فى غروب يوم الجمعة الثالث من ذى القعدة من تلك السنة فشيعت جنازته بعد عصر يوم السبت وصلى عليه بالمسجد الحسينى وطيف به حول المقام كوصيته ، ثم دفن بقرافة المجاورين فى بستان العلماء رحمه الله رحمة واسعة ، وله من المؤلفات رسالة اسمها الأنوار الحسينية على رسالة المسلسل الأميرية ، ورسالة فيما يتعلق بليلة النصف من شعبان ، لولده السيد محمود تعليق عليها سماه : عروس العرفان ، فى الحث على ترك البدع وشوائب النقصان ، على الرسالة البيلاوية المتعلقة بليلة النصف من شعبان

وأعقب المترجم من الذكور ولدين كبيرهما السيد محمد البيلاوى سعى له والده حين انفصاله من نظارة دار الكتب فجعل مغيرا بها ثم جعل وكيلا لها وخطيبا للمسجد الحسينى ونال درجة العالمية الثانية بالأزهر ، ثم جعل بعد ذلك نقيبا للأشراف . والآخر السيد محمود ، جعل شيخا للمسجد الحسينى لما أقيم والده شيخا للأزهر . ثم جعل بعد ذلك شيخا للمسجد الزينبى .

ترجمة
الشيخ زين المرصفى

الشافعى

هو من طبقة الشيخ عبدالرحمن الشربينى والشيخ سليم البشرى، إلا أن الشيخ سليما أكبر منهما سنا، حضر إلى الأزهر وقرأ على كبار الشيوخ به حتى برع وتأهل للتدريس، ثم جعله الخديو إسماعيل معلما للعربية لولده الأمير حسين كامل باشا سلطان مصر الآن(١)، وبسبب مخالطته له ولمن حوله ألمّ ببعض اللغات، وسافر مع الأمير إلى القسطنطينية وكانت أسواقها لم تزل آهلة بالكتب العربية فاقتنى هناك كتبًا نفيسة غريبة عن أهل الأزهر، فصار ينقل منها فى تآليفه نقولاً يُغرب بها عليهم، ثم استخدم بالمدارس وترقى إلى أن صار كبير المفتشين بها، ولم يزل بهذا المنصب حتى توفاه الله يوم الأربعاء الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٠٠، فشيع جنازته لفيف من العلماء وجمع كبير من الناس. وأمر ناظر المعارف فسار فيها من كل مدرسة فريق من تلاميذها وأناب عنه نائبا حضرها، ولما بلغوا به

---

(١) أى حين ألف هذا الكتاب.

الجامع الأزهر للصلاة عليه وقف الشيخ حمزة فتح الله فأبّنه ورثاه ببيتين من نظمه هما :

سقى الله من صوب الرضا أعظما هوى
بها ركن بيت العلم إذ دكه الحين
فلا غرو إن أضحت وجوه علومنا
مشوهة فاليوم فارقها زين

رحمه الله رحمة واسعة .

وفى مقدمة شرح أحمد بك الحسينى لكتاب الأم للإمام الشافعى الذى سماه بمرشد الأنام لبر أم الإمام مانصه : «زين المرصفى كان عالما فاضلا أخذ عن علماء وقته وجد واجتهد حتى صار من أكابر العلماء ، وكان ذهب مع الرسالة المصرية إلى بلاد فرنسا زمن الخديو اسماعيل باشا ، وكان يجيد اللغة الفرنساوية ، وله كتابات فى المنطق والحكمة . وكانت وفاته سنة ١٣٠٠ » انتهى

ترجمة

الشيخ احمد أبو الفرج الدمنهورى

أحمد أبو الفرج الدمنهورى الشاعر الأديب ، ظريف الجملة والتفصيل ، حلو النادرة والفكاهة ، انجذبت إليه النفوس وألفته القلوب على دمامته وغرابة شكله . ولد بدمنهور ونشأ بها فى ضنك ورقة حال ، ولم يكن مشتغلا بالأدب فى أول أمره ، ثم لازم الشيخ محمدا الوكيل القبانى أحد أدباء دمنهور المشهورين وعليه تخرج فى النظم ، وصحب أيضا الشيخ حميده الدفراوى ، وهوأديب لكنه لا يبلغ درجة الوكيل ، ولم يحضر المترجم العلم على شيخ ، بل كان يلازم مجلس الوكيل ولا يفارقه ليلا ولا نهاراً فيكتب عنه كل ما يسمعه من شعر ونثر ونادرة ثم يستظهره ، أخبرنى ثقة أنه اجتمع به بدمنهور حوالى سنة ١٢٨٥ فرآه شابا نيّف على العشرين مخفوض الجانب كثير التواضع ، لا يستنكف من خدمة الوكيل المذكور وحمل المصباح أمامه إذا سار ليلا

ثم نظر المترجم فى كتب الأدب ودواوين الفحول وبدأينظم الشعر فكان يعبث بالبيت والبيتين ، ثم نظم بعد ذلك القصائد والمقطعات ، إلا أنه كان قليل الإجادة كثير الخطأ واللحن ، يتكلف

التجنيس والتورية ، وأحسن شعره ما نظمه فى المجون وضمنه ألفاظ العيارين والشطار . وكان حضوره إلى القاهرة صحبة الوكيل فأوصله إلى السيد عبد الخالق بن وفا شيخ السادات الوفائية فأعجب بظرفه ومجونه ، وكان ينزل عنده كلما حضر إلى القاهرة ، وهى إذ ذاك غاصة بالأدباء والأعيان . وفى الناس بقية ، فكانوا يهشون له ويتهادونه إذا حضر ، ويراسلونه إذا غاب ، فحسنت حاله قليلا بما كان يناله من هباتهم . ثم اتصل بشاهين باشا كنج فى طندتا لما كان مفتشا على الأقاليم سنة ١٢٩٣ فانتظم فى حلبة ندمائه واختص به وواساه وجعله طرفة مجلسه ، وجمع له من أغنياء البلاد مبلغا وافرا اشترى به عقارا ورمّم داره بدمنهور ، واجتمع عند شاهين باشا بعبد الله أفندى نديم الشهير وغيره من خاصة أهل الفضل والأدب ، ثم نقل شاهين باشا إلى منصب آخر بالقاهرة فصار المترجم يتردد عليه ويقيم عنده الأيام والأشهر يجتمع فى أثنائها بغيره من الكبراء وذوى الوجاهة ، فيهدى إليهم مدائحه ويتحفهم بطرائفه .

وكان على قلة إجادته فى شعره مفتونا به مبالغا فى تقريظه وقت إنشـــاده ، يمزج ذلك بإشارات وحركات تستظرف منه ، ولا يكاد يقر لأحد بالتقدم عليه فى النظم . ولعمرى لا أرى عبارة تفى بوصفه ووصف حركاته عند الإنشاد وقيامه وقعوده والتفاته

واستدعائه الحاضرين إلى استماعه ، فإنه كان إذا أراد إنشاد قصيدة من نظمه بدأ أولا بتقريظها ونبه الحاضرين إلى مواضع الإجادة منها ، فاذا ألقوا إليه بسمعهم أنشد المطلع وسكت هنيهة كالمأخوذ من جودته ، ثم التفت يمنة ويسرة مستطلعا خبيئة رأيهم فيه ، واستحلفهم بالله وبأنبيائه هل طرق آذانهم مثله فى عمرهم ، وهل تهيأ لشاعر قبله ما تهيأ له فيه من رشاقة المبنى وغرابة المعنى وتناسب الشطرين ، ثم يمضى فى البيتين والثلاثة ويعود إلى الصمت والتفكر ، ويقول : سبحان المانح ! كم ترك الأول للآخر ! وأمثال هذه الجمل التى اشتهرت عنه وصارت من لوازمه ، ثم يمضى فى الإنشاد ، فإذا مر بتجنيس أو تورية وثب من موضعه وتمايل طربا ، ثم نظر للحاضرين وقال لهم : اسمعوا من الفتى العربى اللعوب ، تُفّ على المتنبى وسحقا له ، أين له هذه السلاسة والسهولة ؟ وهكذا حتى يتم القصيدة ، فإن رأى من السامعين استحسانا تمادى فى غلوائه وأعجب وأطرب ، وربما عارضه بعض من يحضره استجلابا لطرائفه واستئناسا بمحاورته ، فتصدر عنه النوادر ومحاسن الأجوبة الحاضرة . بلغنى أنه حضر مرة مجلسا جمع لفيفا من أهل الأدب فأنشدهم قصيدة من نظمه وبالغ فى استحسانها كعادته ، وأخذ يستطلع طلع آرائهم فيها ، فانتبذ له صديقنا العالم الفاضل ، والشاعر المجيد الشيخ عبد الرحمن قُرّاعة مداعبا ، وقال له : أخطأت فى

بيت منها فأدخلت حرفا على حرف وهو مما لا يجوزه النحاة ، فاما أن تسقطه أو تأتينا بشاهد على صحة قولك ، ووافقه الحاضرون ومالوا معه على المترجم ، فنكس رأسه هنيهة . ثم نظر إليهم كالمتعجب وقال : ياليت قومى يعلمون ! !

وكان كثير الاجتماع بشيخ أدباء العصر الشيخ أحمد أبى البقاء الزرقانى ، فلا يخليه مرة من شعر له ينشده إياه ، ويعرض للشيخ مايشغله عن الاستماع فيستلفته ويكثر من الإلحاح عليه بترك ماهو فيه والإصاخة إليه ويضايقه بذلك مضايقة شديدة . ولكن لا يكاد الشيخ يعرض عنه حتى تصدر منه بادرة ينقلب لها المجلس ضحكا ، فكان يقول فيه : إن أبا الفرج عندى مشكلة من المشاكل ، لا أدرى أهو ثقيل أم ظريف ؟

وكان أول اجتماعى به فى مجلس أحد الأعيان وأنا شاب يافع متعلق بالأدب وأهله ، ولم أكن لقيته من قبل ، بل كنت أسمع به وأشتاق رؤيته ، فرأيت عجبا : رأيت شيخا قصيرا دميم الوجه قد ذهبت إحدى عينيه ، عليه جبة واسعة الأكمام ، وهو جالس فى زاوية من المكان يملى على شخص حسن الخط داليّة من الطويل منصوبة الروى جعلها تهنئة للخديو محمد توفيق باشا بقدومه من الإسكندرية ، فكان منه من الوقوف عند كل بيت

والإعجاب به على ما تقدم ذكره ما نبهنى للالتفات إليه ، ثم مر ببيت قافيته لفظة (ومعضدا) فوثب من مكانه ونبه الحاضرين إلى أنها تورية باسم الخليفة المعتضد بالله فلم يوافقوه ، فأعرض عنهم وأقبل على الكاتب يشرح له حسن هذه التورية وأنها لم تتهيأ له إلا بعد إعمال الفكر والروية حتى أضجره ورمى الدرج من يده ، فغلبنى الضحك واستظرفته وقصدت محادثته ، فقلت : لعل سيدى الأستاذ عارض بهذه القصيدة قصيدة أبى الطيب التى يقول فى مطلعها :

لكل امرئ من دهره ما تعودا
وعادة سيف الدولة الطعن فى العدا

فسكت ثم نظر إلىّ شزرا ولم يزدنى على قوله : تف على المتنبى فاستغربت فى الضحك ، وسألت عنه بعض الحاضرين ، فخبرنى به فكدت أطير سرورا بلقائه ، وأقبلت عليه أمدح القصيدة وأذكر مواضع الإجادة فيها وأستعيدها منه ، فأبرقت أسرته وأقبل علىّ أيما إقبال وأسمعنى بعض مقطعات من شعره ، فقلت له : أما كان الأولى بهذه اللآلئ أن تنظم فى سمط ؟ فقال : نعم ياسيدى إنى مهتم بذلك وسيكون ديوانا مرقصًا ، وامتد بنا المجلس فرأيت منه ما لو أردت إثباته برمته لطال بنا المقال ، ثم فارقته وأنا أشوق الناس إليه ، وكأنى به أحد أبناء المنجّم الذين

ذكرهم الثعالبي فى اليتيمة، وأورد فصولا للصاحب بن عباد فى وصفهم .

ومن غريب أمر المترجم أنه كان يُستملح منه مايستثقل من غيره، فقد رَوَوا عن بشار أنه كان يصفر ويصفق ويتفل عند إنشاده، وعن البحترى أنه كان يتقدم ويتأخر ويتلفت إعجابا بشعره، وقد عيبا بذلك وعد من سقطاتهما التى نعاها عليهما الناعون، بخلاف المترجم .

ومن غرائبه أنه كان معجبا بكنيته، وكثيرا ما كان يتدرج بها إلى الانتساب لمن تكنى بها من الفضلاء المتقدمين كأبى الفرج ابن الجوزى وأبى الفرج الأصبهانى صاحب الأغانى وغيرهما، فلا يدع أحدا من المتكنين بها إلا وينتسب اليه، تارة لهذا وتارة لذاك، ثم ارتقى درجة فادعى الشرف ولاث على رأسه عمامة خضراء ووسع أكمامه، وسعى حتى جعلوه نقيبا للأشراف بدمنهور . حدثنى صاحبنا الأديب الفاضل محمد شكرى أفندى المكى قال : لقيته مرة وكنت علمت بأمر تلك النسب وأردت مداعبته فقلت : يا أبا الفرج إن كنيتك تنبىء عن شرف عظيم فلعلك من نسل أبى الفرج بن الجوزى، فقال : نعم ياسيدى صدقت وأصابت فراستك، ثم لقيته بعد ذلك بأيام وقد نسى ما دار بيننا فأعدت عليه الحديث وقلت له : إجادتك فى الشعر مع هذه الكنية تدلنى على أنك من نسل

أبى الفرج الببغاء ، فقال : أى نعم وهو الواقع اه . ولا خلاف فى أنه كان يعلم قصد محدثه فى أمر نسبه ، إلا أنه كان يخرجه مخرج الجد ، حتى مع أخص الناس به ، ويغضب ممن ينكر عليه . فيستظرف منه

وادعى مرة أنه نال نصيبا وافرا من اللغة بحيث أصبحت لايشذ عنه شىء من مفرداتها ، وتمادى فى هذه الدعوى وتبجح بها فى المجالس ، وتصدر للإجابة عن كل سؤال فيها يطرح عليه فتوالت عليه الأسئلة وهو يجيب عنها خابطا خبط عشواء لا يبالى بمن يحتج عليه بكتب اللغة . وصار الأدباء من أصحابه يرتجلون له ألفاظا يسألونه عنها فيخترع لها معانى يجيب بها ، وربما أحال تخرصا على كتب لغوية يعينها ، ونظم له بعضهم بيتا كبيت الخنفشار وسأله عن معناه فى جمع كبير من الأدباء وهو :

وبِخرْنقِ الأقيال عاثت فالتثت
ورقاء تعترض الأكام بشيظم

فقال : نعم ! هذا بيت لعنترة ، ذكره له صاحب الأغانى وهو يصف به حمامة ، والخرنق شىء يشبه نسج العنكبوت وليس به ، يكون بين أغصان الأشجار ، فيقول : إن هذه الحمامة عاثت بين الأقيال أى الأشجار الكبيرة فالتثت قدماها بالخرنق أى اشتبكت به ، وأما

الشيظم . . . وأراد أن يفسره فقطعته أصوات الضحك من جوانب المجلس .

وبالجملة فقد كان خفيف الروح ، محبّبا الى القلوب ، أديبا ظريفا ، حاضر الجواب ، حلو النادرة . وكانت وفاته فجأة بدمنهور فى ثانى ليلة من شهر ربيع الثانى سنة ١٣١٠ بعد أن صلى العشاء ، وكان آخر قوله : إنا لله وإنا اليه راجعون ، فشقّ نعيه على من عرفه وشيع جنازته الألوف . تغمده الله برحمته

ترجمة حسن افندي عبد الباسط

الُحوىّ

كان خِلاَسىّ اللون يشبه الحبش ، وبوجهه أثر جدرىّ ، وكان أديبا شاعرا هجّاء ، خبيث اللسان مجيدا ، إلا أنه مقل ، استخدم بالإسكندرية فكان رئيس قلم فى الضبطية حوالى سنة ١٢٨٥ وبقى بها الى سنة ١٢٩٠ ، وكان بها إذ ذاك مصطفى صبحى باشا الشاعر المشهور ، فكان يجتمع به من بها من الأدباء والشعراء ، فيسمرون معا ويحيون الليالى بالمذاكرة وإنشاد الشعر ، واتفقوا على تسمية مجلسهم بالمِرْبَد ، وألا يقبلوا به أحدا الا إذا ارتضوا به جميعا ، فكان المترجم ممن رضوا به أن يكون من شعراء المربد ، وكانت تمر عليهم ليال يقترحون فيها ارتجال الشعر ، ويعينون عدد الأبيات والوقت الذى يجب نظمها فيه ، فكان أحدهم إذا تعذرت عليه قافية وأعجله الوقت ارتجل كلمة لامعنى لها ، أو لها معنى لايوافق السياق ، وتمم بها البيت ، فاجتمعت لهم من ذلك ألفاظ غريبة مضحكة سموها بالألفاظ المربدية

ثم تنقلت الحال بالمترجم ، فاستخدم معاونا بمديرية الشرقية ، ثم فصل فضاق به العيش وفتح حانوتا بالزقازيق للصيدلة القديمة

المسماة فى العرف الآن بالعطارة ، وكان أمره بها عجبا ، فانه اقتنى كتبا من مفردات الطب وقانون ابن سينا ، وصار إذا طلب منه أحدهم بيع عقّار من العقاقير ، سأله عن سبب حاجته إليه وقام إلى تلك الكتب فاستخرج له منها مزاياه وما يداوى به من العلل ، وبقى مدة على ذلك حتى توفاه الله بعد سنة ١٣٠٠

ومن شعره يمدح محمدا فتح الباب أفندى كبير كتاب ديوان البحر:

رأيت العلا ترتاد بعلا لنفسها
وقد خطبتها قبل ذاك الأوائل
فقمنا سراعا قاصدين لخدرها
عساها بنا ترضى ويُجلى التواصل
فلما رأتنا واقفين ببابها
أشارت لفتح الباب منها الأنامل

وكان رحمه الله على خبث لسانه طرفة من الطرف ، وأعجوبة من العجائب : فى حسن المنادمة وحضور الذهن وسرعة الجواب ، رآه مرة بعضهم وهو مسافر إلى الزقازيق فى القطار ومعه جراب يحمله بيده ، فقال له مداعبًا : أظن هذا جراب الحاوى ، أى المشعبذ ، فقال : لا ياسيدى ، هذا جراب الُحوَىّ !

ترجمة الشيخ مصطفى السفطى

مصطفى السفطى ابن مصطفى الفاكهانى السفطى ابن على السفطى ابن أحمد شلبى ، نسبة إلى سفط القطايا من عمل ..... : (١) ولد بمصر القاهرة حوالى سنة ١٢٥٠ ، وأرسل إلى المكتب فى السابعة من سنيه ، ثم تنقل من مكتب لآخر حتى حفظ القرآن الكريم ، واشتغل بتجويده فى الأزهر ، ثم شرع فى طلب العلم على شيوخ عصره ، فقرأ الكفراوى على أحد العلماء المبتدئين فى التدريس ، فكان يحفظ العبارات ولا يفقه لها معنى ، ولما أعيا عليه أمره ، وتعذّر عليه إعراب أمثلة من غير هذا الكتاب أعاد قراءته ، ولكنه لم يستفد شيئا . وكان بجوار داره دار السيد أحمد البقلى أحد المدرسين بالمدارس ، وله ولد أراد أن يقرأ القرآن مع المترجم ، فشكا المترجم له من تعسر النحو عليه ، فأشار عليه بشراء متن الآجرومية وأمره بحفظه ، ثم شرع فى إعرابه له على الطريقة الأزهرية ، فلم يستفد شيئا أيضا ، وشكا من ذلك للشيخ محمد الدمنهورى فأمره بترك طلب النحو كلية حتى ينسى ما علق بذهنه منه ، ففعل واقتصر على الفقه ، فحضر ابن قاسم على الشيخ البيجورى ، وكان

---

(١) بياض فى الأصل

يتفهمه بخلاف النحو ، فمالت نفسه إليه فحضره مرة ثانية على الشيخ فتُوح البجيرمى ، ثم مرة ثالثة على الشيخ عبد الرحمن القبانى أحد تلاميذ الشيخ فتوح المذكور ، وكان يطالعه لإخوانه المبتدئين

ثم قرأ الكتب المتداولة بالأزهر ، ولم تفتر نفسه عن طلب النحو على مالاقاه فيه من الصعوبة ، فصار يتردد على الشيخ محمد الدمنهورى ومعه متن الآجرومية فقط ، وصار الشيخ يقول : له اقرأ هذه الجملة ثم تفهَّم معناها بنفسك ولا تنظر لأقوال الشراح ، فيفعل ، فتارة كان يخطئ وتارة يصيب ، وسهل عليه فهم هذا العلم بهذه الطريقة ، وكان أحد أصحابه مبتلى بمثل ما ابتلى به ، وأخبره أن عند على أفندى العروسى شرحا للرملى على الآجرومية ، فاستعاراه منه وقرآه معا ، فكانا يفهمان ما فيه فهما جيدا . ثم اجتمع المترجم بإنسان كفيف البصر اسمه الشيخ على الفيومى ، له باع فى العربية ، فقرأ عليه مع صاحبه كتاب الشيخ خالد والأزهرية ، والقطر ، وابن عقيل ، ثم أعاد المترجم القطر على الشيخ الشبينى بالأزهر ، وقرأ الخطيب على الشيخ على الأشمونى عم الشيخ محمد الأشمونى الشهير ، وقرأ التحرير والمنهج على الشيخ مصطفى المبلّط ، وهو آخر حضوره فى الفقه ، ثم قرأ علوم البلاغة بالأزهر ، والعروض مع إعادة البيان بالمطالعة مع بعض تلاميذ رفاعة بك : كقدرى باشا وإبراهيم بك مرزوق . وبعد ذلك انتخب مدرسا بالمدرسة

التجهيزية سنة ١٢٩٠ في أول نظارة رياض باشا على المعارف ، وكانوا إذ ذاك يقرأون بها في الأنموذج للزمخشري في النحو ، ثم كُلف بتأليف رسالة في الصرف ففعل . وقرأها للتلاميذ نحو ثلاث سنوات ، ثم اتفق مع بعض المدرسين على تأليف رسائل في البلاغة والصرف بتوسع أبسط من الرسالة الأولى ، وقرأ بها سنوات ، ثم أمر بقراءة العروض والقوافي في المدارس ، فاستحسن رسالة أبي الجيش وأقرأها ، ثم وضع رسالة في العروض والقوافي أتم بها ماأراده أبو الجيش ، ولكن وقع ما منعه من تقديمها للمدارس ، ثم كلف بوضع رسالة في علم الرسم ، فوضع رسالته «عنوان النجابة ، في قواعد الكتابة» وقرئت بالمدارس

ونقل بعد ذلك للمدرسة الابتدائية المسماة (بالمبتديان) ، وكان ذلك سنة ١٣٠٦ ، فألف بها رسالة بالاشتراك مع غيره في المترادفات ، ثم نقل إلى المدرسة السنية الخاصة بتعليم البنات ، فبقى بها سنتين ألف فيها رسالته « محاسن الأعمال » ، ولما عرضت على المجلس العالي بنظارة المعارف استحسنها أعضاؤه جدا وقالوا : الأولى أن تكون بيد المعلمات لا بيد المتعلمات ، ثم أخذت قوته في الوهن ، وبصره في الضعف لكبر السن ، فعرض استقالته على النظارة مبينا السبب . فأحيل على الكشف الطبي ، ثم أحيل على المعاش . وله من التآليف غير ما تقدم : رسالة في الصرف اسمها « قرة الطرف »

أوسع من المتقدمه ،وأخرى فى النحو وهى « منحة الوهاب ، فى قواعد الإعراب » ، وهى نظم . ومن شعره :

الحمد لله لا فقر يضر ولا غنى يغر فلاحزن ولا فرح

وليس لى مطمع فى الناس يلجئنى
للذم والمدح إن ضنوا وإن سمحوا

وأسأل الله حاجاتى فيمنحنى
من فضله فوق ما أهوى وأقترح

وله :

قد يسر الله أسباب المعاش لنا
بالعقل والرزق موقوف على القسم

ليعلم العبد أن الله يرزق من
يشاء بالفضل لا بالسعى والهمم

فيطلب الرزق بالأسباب معتمدا
على الذى أوجد الأشياء من عدم

ولا يخاف ولا يرجو سواه ولا
يحيد عن منهج الأحكام والحكم

وكان رحمه الله طيب الخلق ، حسن المعاشرة ، اعتكف فى داره بعد فصله من المدارس على الاشتغال بالعبادة ومذاكرة العلم مع بعض من يسمر معهم من إخوانه وأخلائه ، أو استقلالا

بنفسه ، وكان فى مبتدا أمره مولعا بالسماع ، وتشبث بتعلم الموسيقى فلازم الشيخ محمدا شهاب الدين الشاعر المشهور ، وكان متقنا لها ، فأخذها عنه وأتقنها ، ولكثرة مطالعته لكتب الأدب صارت له ملكة أدبية ، ومعرفة بجيد الشعر ونقده . ثم مازال على هذه الحالة المحمودة حتى أرهقه الكبر وضعف عن المشى ، فلزم داره لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة فى أقرب مسجد إليه ، ومع ذلك فلا يبلغه إلا بمشقة زائدة . وتوفاه الله إلى رحمته فى يوم الثلاثاء ٢١ رمضان سنة ١٣٢٧

ترجمة محمد افندى أكمل

هو محمد أكمل ابن عبدالغنى بك فكرى ابن لطف الله بن حسين ، الشاعر الأديب الظريف ، ولد بالقاهرة ونشأ بها واعتنى والده بتعليمه وتهذيبه ، ثم أدخله فى الديوان الخديوى للتعلم كتلميذ ، وكان من كبار كتاب هذا الديوان مدة الخديو إسماعيل باشا ، فجود الخط به وألم باللغة التركية ، وكانت له حدبة بظهره شوهت خَلْقه ، ورأى والده أن لامطمع فى استخدامه بمنصب لائق ، لحدبته وقصر قامته ، فاستحسن له طلب العلم بالأزهر ، وكان يرجو أن يكون من كبار العلماء ، فلازم الطلب به وقرأ النحو والعلوم العربية على الشيخ أحمد المنصورىّ ، والشيخ محمد البجيرمىّ ، وكان أحدب مثله ، وكثيرًا ما كان يقعده بجواره فى حلقة الدرس ، ثم انقطع عن الطلب ولازم والده ، وكان والده جمّاعة للكتب ، مغاليا فى اقتنائها شراء واستنساخا ، ينفق عليها جلّ ما يصل ليده ، ويحيى الليالى فى مقابلة ما يستنسخه منها وتصحيحه وضبطه ، فكان المترجم يعاونه فى ذلك ، واطلع بهذا السبب على كثير من الكتب العلمية والأدبية والدواوين الشعرية ، وعاشر من كان يجتمع بوالده من العلماء والأدباء وتردد عليهم واستفاد منهم ، وعرف

مدة طلبه بالأزهر كثيرا من أدبائه وشعرائه المجيدين كالشيخ عبدالرحمن قرّاعة ، والشيخ أحمد مفتاح ، وحفنى بك ناصف وغيرهم ، فاستفاد منهم أيضًا ، ونظم الشعر والزجل وأدوار الغناء واشتهر بحسن المحاضرة وملاحة التنديد وسرعة الجواب وخفة الروح ، وكان كثيرا ما يجعل محور تنديره دائرا على حدبته ، فيأتى بما يضحك الثكلى ، بل كان لا يأنف من ذكرها فى شعره ، كقوله من زجل فى الوباء الذى حل بمصر أوائل سنة ١٣٢٠ وما فعله الأطباء من الهجوم على الدور ، وترويع ربات الخدور :

شَاعِرِ ونَاثِرِ زجَّالْ عَالْ
فنّ الأَدَبْ فيدُه[1] لِعْبَهْ
لِطيفْ زكىِ وفَهْمُهْ سَيَّالْ
ورِقّتُهْ مِنَ اللّٰهْ وَهْبَهْ
مُخْلِصْ لإِخْوانُه ومَيَّالْ
نَادْرِةْ زَمَانُهْ ولُه حَدْبَهْ

---

(١) بهامش الأصل : أى فى يده

مافيهْش عيبْ ظَاهرْ معروفْ
قَصِيرْ ولكن فِيهْ أَقْصَرْ
واللى يعِيش يَامَا بِيْشُوفْ
وَاللى بِيمْشِى يِشُوف أَكْتَرْ

ومن ولوعه بحدبته شرع فى جمع كتاب فى نوادر الحدبان، وما قيل فيهم من الأشعار، وتراجم مشهوريهم، أخبرنى أنه جمع منه جزءا، إلا أنه لم يتمه .

ونقل والده مدة محمد توفيق باشا الخديو من الديوان إلى المحاكم الأهلية قاضيا ، وتوفى يوم الثلاثاء ٢٩ المحرم سنة ١٣٠٧ وخلف له ولإخوته ضيعة بالصعيد أصاب المترجم منها ستون (فداناً) باعها وبدد ثمنها بالإسراف حتى احتاج للاستخدام بديوان الأوقاف بمرتب قليل دون الكفاف، وعاش فى ضيق ومضض بعد ما تعوده من السعة والرفاهية ، وأخذ يتقرب للخديو بنظم التواريخ فى كل عيد واحتفال، وحل وترحال، وينشرها فى صحف الأخبار رجاء أن تبلغه فيأخذ بيده، فلم يستفد شيئا وراح تعزّ له فى الريح، وكان قصر شعره فى أواخر عمره على هذه التواريخ فنظم منها الغث والسمين. وكنا إذا قرب عيد أو سفر أو قدوم للخديو لا ننتفع به لاشتغاله بالنظم والحساب وإعمال الروية، فيصير

هذا ديدنه فى غدوه ورواحه ، وقيامه وقعوده ، حتى يمن الله عليه بشىء يرتضيه .

وترك له والده غير الضيعة دارا بسوق الزلط بيعت أيضا ، وترك خزانة كتب كبيرة قل أن تضارعها خزانة فى نفائس الكتب ونوادر الأسفار ، وهى التى أفنى عمره وماله فى جمعها ، وأتعب نفسه فى تصحيحها وضبطها ، وصبغ الورق وصقله لنسخ ما كان يستنسخه منها ، فوق ما كان يتكلفه من السعى فى البحث عنها فى الخزائن المهجورة وعند الورّاقين ، واتخذ له فى داره مصنعا للتجليد ، واستخدم عدة نساخ أجرى عليهم المرتبات فاختصوا بالنسخ له لا يشتغلون لسواه ، وكان هو وعبد الحميد بك نافع من أدباء القرن الثالث عشر يتباريان فى ذلك ويتسابقان . أخبرنى المترجم عن والده أنه بلغه أن تاجراً من الورّاقين قدم من سفر بكتب أوصاه عبد الحميد بك نافع بجلبها له وبينها ديوان البحترى ، وكان إذ ذاك لم يطبع بل لا يعرف فى مصر إلا باسمه ، فأسرع إليه وبذل له مالا فوق قيمة الديوان على أن يعيره له يوما وليلة فقط يطالع فيه ، فرضى وأعاره إياه ، فلما أتى به لداره أعطاه لمجلده ففك له تجليده وأحضر فى الحال عدة نساخ فرقه عليهم كراريس فنسخوه وقابلوه ، ولم يمض اليوم والليلة إلا وقد ردت النسخة الأصلية لصاحبها مجلدة كما كانت ، ثم قابله بعد ذلك عبد الحميد بك وأخذ يفاخره

بوجود الديوان عنده واختصاصه به ، فقال له : خفّض عليك يا أخي هـــذا شيء أكلنا عليه وشربنا حتى مججناه ، ثم أخرج له نسخة الديوان من الخزانة . وبلغه مرة وهو يسمر مع بعض أصحابه أن بعضهم رأى عند فلان الوراق رسالة من الرسائل ، وكان هو يتطلبها من زمن وينشدها فلا يجدها ، فلم يسعه إلا أن قام فى الحال وأخذ يسأل عن دار الوراق من هنا وهناك حتى اهتدى إليهـا بعد ما مضى هزيع من الليل ، فأيقظه من نومه وساومه فى الرسـالة بقيمة فوق قيمتها ، ولم يمهله للصباح بل أنزله من الدار وذهب معه إلى حانونه ففتحه ليلاً وأخرجها له ولم يهـدأ له بال حتى باتت الرسالة عنـده . فلـما مات عرّض المترجم كتبه للبيع فبيعت وتفرقت واقتنى نفائسها ونوادرها الـكونت لنـدبرج قنصل السويد بمصر ، وكان من مستعربى الإفرنج المولعين بجمع الـكتب العربية ، وأدركت أنا أواخرها فاقتنيت منها بضـعة عشر كتابا ، منهـا ما هو بخط عبد الغنى بك نفسه ، وبحواشيها آثار التصحيح واختلاف النسخ التى كان يقابلها بهـا .

وكان أول التقائى بالمترجم فى دار ابن أختى محمود توفيق بك ، وهى إذ ذاك مجمع الأدباء ومحط رحال الفضلاء ، فلما رأيتـه استغربت شكله واستملحت محاضرته ، ثم رأيته يناقش الأدباء

ويطارحهم الشعر، فدنوت منه وكنت صغيرًا فى أول الطلب ، وقد تعذر على فهم باب أفعل التفضيل ، وأجهدت نفسى فى درسين متواليين على تفهمه ، فلم يفتح على بشىء فيه ، فسألته عنه فأوضحه لى بعبارة سهلت على فهمه ، فكان بعد ذلك كثيرا مايقول لى ممازحًا : إذا ذكرت شيوخك فاذكرنى معهم ولا تنسنى . ثم تأهل ببنت حنفى بك ، وكان لأسرتها نوع اتصال بنا ، فاتصلت المودة بينى وبينه بهذا السبب ، وازدادت ملازمته لى لما سكن بجوارنا ، فكان يزورنى عصر كل يوم ويبقى حتى نسمر معا ثم ينصرف ، فتارة كنا نحيي الليالى بمسامرات أدبية ومذاكرات علمية ، أو بمطالعة بعض الكتب ، وتارة بمقابلة ما كنت أستنسخه وتصحيحه ، وكان لايمل من المقابلة مهما يطل الوقت فيها ، ويقول : هذا شىء دربنى عليه والدى وعودنى إياه من الصغر . وأشار علىّ مرة أستاذنا العلامة محمد محمود الشنقيطى أن أطالع أمالى أبى على القالى مطالعة إمعان وتدبر ، ولم تكن طبعت بعد ، فاستنسخت منها كراريس عكفت على مطالعتها ، وأخبرت المترجم أنى سأحتجب عن الناس بضعة أيام حتى أستوفى ما بهذه الكراريس ، فغاب عنى ثلاثة أيام ثم حضر ومعه زجل ، ينحى فيه على الأستاذ وعلى أبى علىّ القالى اللذين تسببا فى انقطاعى عن الإخوان ، ويذكر فيه بعض من كان يجتمع بنا :

المذهب

مشتاق قوى ليدى السحنة دى مودتك حيطى ميطى
أبو على كان لك محنة ألله يجــازى الشنقيطى

(دور)

يا سـيِّد أحمد يا تيمور ياللى منعنا من أنسك
هو ودادك من بنور حتى كسرته من نفسك
أهديك سلام يشحن وابور يقطع محطات على حسك
هو الكتاب ده م الجنه ولا كلام المجــريطى
أبو على كان لك محنه ألله يجــازى الشنقيطى

(دور)

بكره يجينا الشيخ مفتاح يحلى السهر فى القمارى
نفضل ندردش للأصباح والشيخ بروحه موش دارى
عبيط خفيف عالم فلاح بجوز شوارب هوارى
أوقات كده يبقى زنهْ واوقات تشوفه رهريطى
أبو على كان لك محنه ألله يجــازى الشنقيطى

(دور)

إذا مشى تلقاه يجرى راخى تملى كيعانه
م الكهربا تشوفه دغرى رمح وطرطق إودانه
وإذا اشترى حاجه يورى جميع ما جابه لإخوانه

وتبقى زيطه لهـــا رنه   واحوال معيشته رطريطى
أبو على كان لك محنه   ألله يجـــازى الشنقيطى

(دور)

عبد الملك راجل زنديق   وابنه صبح منه مخلول
والبابى لآخر بالتحقيق   جاهل ثقيل دينه محلول
ومذهبـــه مذهب تلفيق   كله خراف من غير معقول
لا فرض عنده ولا سنه   ده دين إباحي شليطى
أبو على كان لك محنه   ألله يجـــازى الشنقيطى

(دور)

أما القـدورى بنياته   أفغانى لكن يتدحدح
وركبته ودقنه وذاته   على حمـــاره يتمرجح
غريب فى شكله وصفاته   نادر فى بابه متلحلح
يدى ملامح للورنه   أو الزغاليـل الغيطى
أبو على كان لك محنه   ألله يجـــازى الشنقيطى

(دور)

أما الدميرى القلعاوي   تيس تركى أبيض وبلحيه
وأبو فصاده الشناوى   أعرج ملوى كالحيـة
بدقن بيضا حلفـــاوى   وزعيق يبطل على مِيه
غبي وسخ كالشيخ مَنه   فـكره قذاره مخيطى

أبو على كان لك محنه   ألله يجـــازى الشنقيطى

(دور)

أهل الأدب ماتوا بحسره   م اللى شفوه فى دى الأيام
النـاس بقت بينهم نفره   والمسلمين صارت أخصام
وكل يوم تلقى نشره   تملا قلوب الناس أوهام
بيقفشولهم على لحنـــه   بالوهم عايشين سلبيطى
أبو على كـان له محنـه   ألله يجـــازى الشنقيطى

دور المديح

حسن التخلص بالمحمود   طه النبى الهـادى الأمى
أفضل رسول كان به موعود   هـدى اليهودى والذمى
وفاز من اسلم بالمقصود   نال الشرف من به سمى
باقى الملل صارت كهنه   كل كتبهـــا خلبيطى
أبو على كـان له محنه   ألله يجـــازى الشنقيطى

دور الاستغفار

يارب انا مذنب عاصى   محتـاج لعفوك والغفران
من العذاب أرجو خلاصى   ودخولى فى جنـة عدنان
أنا نحيف موش جعاصى   مليش تجلد على النيران
عفو الكريم أعظم منّـه   على عبيده الحفليطى
أبو على كان لك محنه   الله يجازى الشنقيطى

دور الختام

يا هل الأدب راجى منكم　　غض العيون عن زلاتى
فن الزجل يروى عنكم　　أما أنا مش أدباتى
الله يخلّى أفضالكم　　وأنول سعودى لمماتى
وابقى كده ف طنّه وشنّه　　وافرح وترقع زغريطى
أبو على كان لك محنه　　الله يجازى الشنقيطى

انتهى .

وإنما يظهر حسن هـــذا الزجل لمن يعرف المذكورين فيه فيطبق ماذكر عنهم على هيئاتهم وأحوالهم، ومراده بالقدورى والدميرى شخصان كان يلقبهما بهذين اللقبين . والسبب فى ذلك أنى أطلعته على رسالة عندى جمعها الشيخ أحمد الفحماوى صاحب الخط الحسن ، المشهور بكتابة لزوم مايلزم للمعرى، وسماها(بنات أفكار، وعرائس أبكار) فى ألقاب أهل العصر ، ذكر بها كنى وألقابا وضعها لفضلاء أواخر القرن الثالث عشر عبد الحميد بك نافع ، وإبراهيم أفندى طاهر الشاعر الرقيق المشهور على سبيل المزاح والدعابة ، فلقبا كل واحد بلقب شاعر متقـــدم ، أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة الملقب به . أو شيئا يغلب على أخلاقه وأحواله ، كتلقيبهما مصطفى أفندى المنغوت بكامل بالعكوّك ، لأنه كان قصيرا جدا معوّج القدمين ، وتلقيبهما الشيخ محمد الرافعى الكبير شيخ رواق الشاميين

بالأزهر وأحد كبار علمائه بملا مسكين، لأنه كان نحيفا وبقوامه بعض احديداب يرى كأنه تواضع وانكسار، وتلقيبهما عبد الغنى بك أبا المترجم بالأخطل، لأنه كان ضخم الجسم كبير الهامة . فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنونا وشرع فى وضع رسالة تماثلها فى فضلاء عصره، وسألنى مشاركته فيها كما فعل ذانك الأديبان فامتنعت خشية اللوم، فانفرد هو بتأليفها وأتى فيها بغرائب ذهب أغلبها عن الذهن لطول العهد ، فمن ذلك تلقيبه للعالم الفاضل على رفاعة باشا ابن رفاعة بك المشهور ، بابن المقفع لنحافته ودخول شدقيه، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى أفندى الأفغانى ، بالقدورى لغرابة شكله وقصر ساقيه تشبيها له بالقدر من الفخار ، والقدورى اسم عالم من الحنفية مشهور . وكان الشيخ محمد الحفنى المهدى ابن أخى مفتى مصر الشيخ العباسى المهدى ولعا بذم الناس منقبا عن معايبهم ، لهجا بهم فى المجالس ، لم يسلم منه أحد حتى عمه ، واشتهر بذلك حتى أبغضه عارفوه وتحاموا عن الاجتماع به ، فلقبه بابن هِرمة ، وهى كلمة سب عند العامة ، فقلت له : هذا لا يستقيم لك لأن ابن هرمة الشاعر بفتح أوله . فتأفف وقال : لا أجد له لقبا ينطبق عليه غير هذا فدعنى من شنقيطيتك . ثم لما فرغ منها سألته عما لقب به نفسه ، ففكر وقال : أحسن لقب ينزل علىّ ابن قتيبة ، ثم

تركه وتلقب بالمقوقس . وضاعت هذه الرسالة فيما ضاع من أوراقه وأشعاره ، ويغلب على الظن أنه مزقها لأنه وقع له بسببها نفور بينه وبين بعض من لقبهم ، فانه لما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ أحمد مفتاح لسلامة طويته ، بالأبله البغدادى ، غضب منه وكاد يتفاقم الشر بينهما . وغضب منه صاحب آخر كان قصيرا ممتلئا يتدحدح فى مشيته كما يتدحدح البط ، لأنه لقبه بابن بطوطة ، فأخفى الرسالة لهذا السبب ، وطوى ذكرها

وكان رحمه الله مجيدا فى الزجل ، متقنا لصياغة الأدوار التى يتغنى بها ، وأكثر ما كان متداولا منها بين المغنيين فى عصره كان من نظمه ، وأما شعره فالإجادة فيه قليلة إلا ما ضمنته النكت والتنديرات العامية ، فمن أحسن ما وقفت عليه منه قوله من مرثية فى صاحبه على رفاعة باشا :

جزعت وللحرّ أن يجزعا ... وودّعت صبرى إذ ودَّعا
وجادت عيونى على بخلها ... وحُق لها اليوم أن تدمعا
وروَّع قلبي النوى بعد ما ... أمنت ومثلى كم رُوعا
لحا الله يوما أشاعوا به ... وقالوا أمير العلا شيّعا
فما كان أصعب تأبينه ... وما كان أسوأه موقعا
وما كان حقى البكاء ولكن ... فزعت ولا بدع أن افزعا
تجرعت من هوله كل صاب ... وغيرى من الناس كم جرّعا

وما دار فى خلدى أننى أرى البدر يرضى الثرى مضجعا
ولكن شأن الزمان عجيب فما كان أضيع عهدا رعى
يقول النعىّ : علىّ قضى ولم يدر أن العلا قد نعى
نعى سيدا صيته طائر حوى الفضل فى شخصه أجمعا
فدكت رواسى الدنى بعده وماد الزمان بما أودعا
وغابت شموس المعارف لما ذوى غصنه بعد ما أينعا
فقل للخطابة ذوبى أسى ولا تطلبى بعده مصقعا
وقل للكتابة لا تحفلى بمن يتبجَّح فى المدعى
وقل للعلوم فقدت أميرا مضى تاركا فضله مشرعا
وقال مورِّيا باسم الطبيب سعد بك سامح :
يا سعد مالك معرضا عنى وقلبى فيك طامحْ
إنى أتيتك قائلا أنا تائب يا سعد سامح
وقال مورِّيا باسم محمد ثابت:
إن كنت فى ريب بصدق محبتى وسمعت عنى ما تقوّل شامت
فاعلم فديتك دائما أنى على عهد المحبَّة يا محمد ثابتُ
ولما مرضت شقيقتى السيدة عائشة التيمورية وأحست بدنو الأجل ، نظمتْ فى مرضها أبياتا لتكتب على قبرها، وتركت مصراع التاريخ لمن ينظمه بعدها . وهى :
قد كنت عائشة فنوديت ارجعى للقبر مأوى كل حىّ فان

فأتيت صفر الكف عن مرضاته ومقرة بالعجز والعصيان
جرّدت من ثوب الهدى لكنّ لى تاجا من الإسلام والإيمان
ونزلته مستشفعا بمحمد وتوسّلى عفوا من الرحمن
أصبحت ممن زار لحدى راجيا خير الدعا وتلاوة القرآن
لكم البقا إخوان دينىَ أرّخوا
فنظم المترجم التاريخ بقوله : (قبر لعائشة سما بجنان)
١٠٦ ١٠١ ٨١١ ٣٠٢
١٣٢٠

وله غير ذلك مما ذهب عن الذهن الآن ، ولكثرة ممارسته للتواريخ الشعرية كان يأتى فيها أحيانا بغرائب فى إبراز المقصود بدون حشو ، كقوله فى تاريخ ولادة ولده عبد الغنى : (عبد الغنى ابن أكمل) .

وكانت وفاته فجأة قبل ظهر يوم الثلاثاء ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٢١ ودفن بمقابر باب النصر ، رحمه الله تعالى .

ولم يشتهر ولده عبد الغنى بك بعلم ، بل كان بارعا فى الكتابة التركية والعربية فقط ، وكان يقرض الشعر أحيانا ، فمن ذلك قوله هاجيا الشيخ مصطفى قشيشة مدعيا أنه لم يرد إليه كتبا استعارها منه ، وكان الرجل من الفضلاء ، وكانت له زريبة لتربية البقر يكتسب منها ببيع اللبن . فقال فيه :

شيخ سوء بفعله المنكور أنسى معنا بحلمه المشهور
عامل الناس بازدياد دهاء زاد فى الوقع نغمة الطنبور
واستمال البسيط من لم يطالع من خداع القصير فى المسطور
أشعل الذهن فى اللآمة حتى أورث الصهر أسوأ المقدور
قل ما يلحظ الصحيح بعين غير خلط المنظوم بالمنثور
صار دهرا بصحبتى مستفيدا وفر مال من كنزى الموفور
واقتداء بحبك الشىء يعمى كان ماصار من خطا المشعور
وتمادى الضلال بضع سنين نال منها ماليس بالمحصور
واحتدام الخصام نكران كتب شذ فيها عن نهجها المبرور
وانثنى الآن منكرا مستغيبا كافرا نعمتى لدى الجمهور
جعل الله عسره مستديما وثواه الإله فى التنور

وقال فيه أيضًا :

تشرب الخمر للتداوى احتيالا لاشفى الله منك للجسم عله
دمت فى منقع الزريبة روثا بك يشتم فى الخياشيم جله

والجلة عند العامة هى روث البقر. ولا يخفى ما فى القصيدة من الضرورات كقوله : أنسى ولا يستقيم الوزن إلا بحذف الياء ، وقوله : وتمادى الضلال فعداه وهو لازم. وغير ذلك . فلما اطلع الشيخ مصطفى على القصيدة

والبيتين طلب من صديقنا الشيخ أحمد مفتاح أن يجيبه على لسانه ، فنظم قصيدة وبيتين من البحر والقافية فى ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٠٤ . فقال :

لهوى النفس فى اقتحام الأمور   حكمة تستفز لب الخبير
كل داء يبرا ولو بعد حين   غير داء الهوى وداء الغرور
قف قليلا وأمعن الفكر فيما   أظهرته الغيوب كل الظهور
ظن بعض الرعاع والظن إثم   بورد النفس أسوأ المقدور
أن سيفى لدى الهجاء كهام   وقناتى تلين فى كف زور
فتعامى ومج من فيه روثا   وقبيح بالمرء خبث الضمير

يشير بهذا البيت إلى قول عبد الغنى بك : دمت فى منقع الخ .

عشت معه على الضغائن سرا   لا أرى منه غير نذل نخور
فانتقى لى بعد انتقالى سطورا   هو أولى بلفظها المهجور
ظنها الشعر ضلة ليس يدرى   أن دون القريض خوض البحور
إن عبد الغنى عبد جهول   ليس يدرى قبيله من دبير
فيه ما شئت قله غير مبال   من ضلال وخدعة وفجور
عرفته الإخوان بالخفض حتى   ميزته بالخفض والتنكير

فاتقوه وأخبث الناس طرا رجل تتقيه خوف الشرور
ورمانى زورا بنكران كتب وبكسبى من وفره الموفور
أى وفر أفاد أم أى كتب تبتغى من لدن لئيم حقير
حمل الكتب لا لعلم ولكن لترى الناس أنه كالحمير
وانتمى للثقات فى العلم حتى أوهم الناس أنه ابن كثير
يا عديم الذمام فى كل أمر وقليل الرجاء للمستجير
هاك منى عديمة المثل أنحت بمساو على عديم النظير

وقال :

إن عبد الغنى عبد فقير لم ير الناس فى السفاهة مثله
جمع الدهر فيه ضدين حتى أبرزته العيون للخلق مُثْله

رحم الله الجميع ، وتغمدهم بعفوه وغفرانه .

ترجمة الشيخ حسن الطويل

المالكي (1)

الإمام العلامة، شيخ الشيوخ، وأستاذ الأستاذين، وأحد من تفرّد في مصر بالبراعة في المعقول والمنقول، وأتقن العلوم العديدة مع الزهد الصحيح والورع وعلوّ النفس، والتأدب بآداب الشرع والتمسك بالكمالات

وهو حسن الطويل ابن أحمد الطويل ابن علي، ولد بمنية شهالة إحدى قرى المنوفية، حوالي سنة ١٢٥٠ كما سمعته من تلميذه الخاص العلامة الشيخ أحمد أبي خطوة. وذكر الشيخ بشير الظافر في كتابه «اليواقيت الثمينة، في أعيان مذهب عالم المدينة» أنه ولد سنة ١٢٥٦، وتربى بهذه القرية فقرأ القرآن الكريم وحفظه بها، ثم انتقل إلى طندتا وهو صغير، فاشتغل بتجويد القرآن وحفظ المتون بالمسجد الأحمدي نحو سنتين أو ثلاث، ثم حضر للقاهرة واشتغل بطلب العلم بالجامع الأزهر، فقرأ على شيوخ العصر، مثل الشيخ محمد عليش المالكي، في الفقه والحساب وغيرهما، وعلى

---

(1) في هامش الاصل بخط المؤلف :
(له ترجمة في الضياء ج ١ ص ٦٩٠) يريد مجلة الضياء

الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ، والشيخ إبراهيم السقا ، والشيخ محمد الأشمونى ، والشيخ محمد الإنبابى ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى ، فظهرت عليه النجابة ، وابتدأ فى حضور السعد ، وكان من دأبه فى أول أمره معاكسة المشايخ فى الدروس بكثرة الأسئلة والمناقشات ، حتى حدث ما اضطره إلى الانقطاع عن الأزهر ، وسبب ذلك أن أبناء العمد وأقاربهم طلبوا للدخول فى الجندية بقانون وضع لذلك ، أمر به سعيد باشا والى مصر ، ولما كان المترجم من أقارب بعض مشايخ قريته طلب معهم . وجند مع من جند فصار واحدا منهم ، إلا أنه لم يسلك مسلك أكثرهم فى التفريط فى الفروض ، فكان يواظب على الصلوات والأوراد ، وكان الوالى يكره من الجند من يصلى ، وحدث أن المترجم جاءه من شيخه الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى كتاب فيه استغاثة يأمره بتلاوتها عقب كل صلاة ، رجاء أن تفرج كربه وتخلصه من الجندية ، فوقع الكتاب فى أيديهم ، وعدوه لذلك مذنبا ، وكان عقاب المذنبين عندهم إهمال تعليمهم الفنون العسكرية وتشغيلهم فى السكك الحديدية وما أشبهها من الأعمال الشاقة ، فكان المترجم يشتغل فى هذه الأعمال بهمة زائدة تأديبا لنفسه ، لأنه ظن ما وقع له عقابا على جراءته على مشايخه ، وكان سعيد باشا يلقب المطيعين من الجند بالفراعنة ، والعاصين المذنبين بالنماردة

فغضب مرة على النماردة وأمر بطردهم من الجيش ، فخرجوا منه إلا أنهم بقوا تابعين ، وهم ما كانوا يسمونهم بالعساكر الأمدادية ، وخرج المترجم معهم ، فأقام بقريته مدة ، وكان قبل ذلك يجتمع على الشيخ خالد أحد مشايخ الطريق ، فرأى أن يسافر إليه ، فسافر إلى بلدته المسماة بالسريرية من أعمال المنية أى منية ابن الخصيب ، ولزمه بعض أشهر عكف فيها على الاشتغال بالعلم والطريق

ثم طلب إلى الجندية مرة ثانية ، فذهب إليه أبوه ليحضره ، وأراد الشيخ خالد منعه فلم يرض هو بل عاد مع أبيه إلى قريته فوجدهم أهملوا طلبه ، فحمد الله . وأراد والده إبقاءه معه فى القرية خوفا من أن يعود إلى الصعيد ، فضاق المترجم بهذا الأمر وخرج من غير علم أبيه من القرية وهو لا يملك شيئا ، فمشى على قدميه يبيت فى كل بلدة تصادفه حتى وصل إلى القاهرة ، ودخلها من جهة باب الحديد فاشترى بما معه شيئا أكله ، وذهب إلى الأزهر فصادف الشيخ محمد السقّارىّ فى طريقه ، فلما رأى المترجم أسرع إليه وهش له ، وأخبره أنه يطلبه من مدة . ثم أنزله بداره وحلف أن يبقى بها شهرا لا يتكلف شيئا من عنده ، وكان مراد السقارى نظم قصيدة يمدح بها أحد الأمراء ، فنظمها له وأخذ السقارى عليها أربعين دينارا جائزة . ولما انقضى الشهر حفّ الله المترجم بعنايته ، فطلبه الشيخ حسن العدوى لتصحيح البخارى ، وكان شرع فى طبعه فانتفع بأجر

التصحيح . ثم طلب إلى ديوان الجهادية لتصحيح ما يطبع به ، فقابل هناك أحمد عبيد بك رئيس الترجمة ، وامتحنه فأعجب به ، وكاد يطير فرحا ، وقال عنه : هذا جوهرة خفيت عنا ، واستخدمه فى الحال للتصحيح بهذا الديوان ، وسعى له حتى مَحَوا اسمه من الجيش حتى لا يعاد طلبه

وكان المترجم فى هذه المدة عاد لطلب العلم والاشتغال به ، مع القيام بالتصحيح بالديوان ، حتى شهد له شيوخه بالتأهيل للتدريس . فدرس بالأزهر ، وكان أول درس قرأه فى شوال سنة ١٢٨٣ وابتدأ فيه بالقراءة فى الأزهرية . ولم يقتصر رحمه الله على العلوم المتداولة بالأزهر ، بل بحث ونقب ، واجتمع بالشيخ محمد أكرم الأفغانى فتلقى عنه العلوم الحكمية ، وبرع فيها ، وتلقى عن تلميذه خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملى ، ونظر فى الهندسة والجبر وسائر العلوم الرياضية ، وقرأ التاريخ قراءة إمعان وتدبر ، وطالع كتب اللغة والأدب ، ونظم الشعر السهل ، وكتب الترسل البديع ، وكان لا يسمع عن أحد يعرف علما إلا ويسعى إليه ، ويتلقاه عنه كائنا من كان ، حتى صار نسيج وحده ، وقريع دهره ، فى سائر العلوم ، مع بعد النظر فى السياسة ، وسعة العقل ، وسلامة العقيدة ، وشدة الإنكار على البدع والمستحدثات فى الدين

وقد قرأ عليه فى الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين ، فكان

الشيخ الأجل أحمد أبو خطوة . والشيخ محمد عبده ، والسيد أحمد الشريف ، وإبراهيم بك اللقانى ، والشيخ محمد راضى البولينى ،ممن قرأ عليه فى الطبقة الأولى من تلاميذه . ثم قرأت عليه طبقة ثانية منها الشيخ عبد الرحمن فوده ، والشيخ محمد الغرينى ، والشيخ عبد الرحمن قُرّاعة ، وقرأ عليه أيضا الشيخ محمد بخيت ، والشيخ داغر ، والشيخ محمد المغربى ، والشيخ أحمد الزرقانى ، وغيرهم ممن لايحصون ، واختص به الشيخ أحمد أبو خطوة ، والشيخ راضى البولينى ، والشيخ عبد الرحمن فوده ، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، فكانوا يقرأون عليه فى داره دروسا غير الدروس الأزهرية ، وصحبوه ولازموه ، فانتفعوا به فى دينهم وأخلاقهم فوق انتفاعهم بعلمه

ثم نقل إلى نظارة المعارف وعين للتفتيش فيها ، ولما مات الشيخ زين المرصفى مفتشها الأول سنة ١٣٠٠ ، وأقيم بدله الشيخ حمزة فتح الله المفتش الثانى جعل المترجم مفتشا ثانيا . ثم نقل مدرسا بمدرسة دار العلوم ، فعمّ الانتفاع به ، وتخرّج عليه أحسن من نراهم الآن من الأساتذة المتخرجين فى هذه المدرسة ، كالشيخ الفاضل حسن منصور ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ محمد الخضرى ، والشيخ عبد الوهاب النجار . وغيرهم من أفاضل الوقت

وبقى فى هذه المدرسة إلى سنة ١٣١٧ ، وكانوا شرعوا فى الامتحان

قبل الإجازة المدرسية كالعادة ، فلما كانت ليلة السبت ١٧ صفر سهر كعادته . ثم ذهب لداره معافىً ليس به شئ . واستيقظ فتوضأ وصلى الصبح . ثم طلب الإفطار والقهوة ، وأخذته غفوة كان فيها القضاء المحتوم ، فلم تشرق شمس ذلك اليوم إلا والنعاة ينعونه والمؤذنون يؤذنون على المآذن كالعادة فى موت كبار العلماء . وأمَّ داره شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربينى ، والشيخ محمد عبده المفتى ، وجميع العلماء والفضلاء ، وكبار نظارة المعارف ، وتلاميذه من الأزهر ودار العلوم . وشيعت جنازته تشييعا سنيا . فصلوا عليه فى الأزهر ودفنوه بمقابر المجاورين . رحمه الله وغفر له عدد حسناته .

ومن غريب المصادفات أنه زارنى قبل وفاته بيومين فى ليلة مقمرة ، فجلسنا فى صحن الدار نلعب الشطرنج . وكان مولعا به مع قلة إجادته فيه . فقال لى عند ما أراد الذهاب : نحن الآن فى الامتحان . وقد قربت الإجازة ، وصدرى ضيق فى هذه الأيام من الناس . ونفسى تجنح للعزلة . فهل تعرف لى مكانا أقضى فيه بعض أيام بعيدا عنهم ؟ فقلت : ياسيدى ، إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نسافر معا إلى ضيعتنا التى بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرؤه ، فقال : نعم الرأى هذا ، وسأستصحب معى ولدى حسنا ليشترك معنا فى القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره ، ويسر له العزلة ولكن فى دار قراره ، فأصبت فيه مصيبة لم أصبها فى بعيد ولا قريب ، لما كان له

علىَّ من الفضل، ولو لم يكن له علىَّ سوى تصحيح العقيدة وتأديبى بآداب الحنيفية السمحاء لكفى .

أما سبب اجتماعى به وقراءتى عليه ، فإنى كنت خرجت من المدارس بعد تلقى ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا فى سن العشرين ، وقد علق بالعقيدة شيء من آثار التربية بهذه المدارس إلا أنى كنت مولعا من الصغر بالإسلام ومحاسنه ، والمطالعة فى السيرة النبوية ، ومناقب الأصحاب والخلفاء الراشدين ، فكان ينشرح صدرى لأشياء ، وينقبض من أشياء تعرض لى فيها شبهات ، ثم كنت أعرض ما يظهر لى من مكارم الشريعة ومقاصدها على ماعليه الناس من البدع والمحدثات التى تمسكوا بها ، وجعلوها من الأصول الدينية ، فأجد التناقض والتصادم ، فصرت أتردد على كثير من كبار علماء الأزهر وغيرهم ، لعلى أجد عندهم مفرجا فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات ، حتى كدت أحكم بأنها من الدين ، وأن الأمر دائر بين شيئين ، فإما أن يكون الدين دين خرافات وخزعبلات تنفر منها الطباع السليمة ، وإما أن يكون مانراه حقاً ، ولكن يمنعنا من قبوله إلحاد تأصل فى النفس. حتى أرشدنى بعض الأصحاب للمترجم ، فأخذت فى السؤال عنه من أهل العلم ، فكانوا ينفّرونني منه ، حتى بالغ بعضهم — عامله الله بما يستحق — ورماه بالزندقة ، فقلت : إذا كنت لم أجد طَلِبتى

عند من تسمونهم بالصلاح والورع ، فلعلى أصيبها عند الزنادقة .
ثم سعيت فى الاجتماع به ، وسألته القراءة عليه ، والاهتداء بهديه ،
فقرأت عليه العلوم العربيـة والمنطق ، وأعدت عليه الصرف
بتوسّع وعلوم البلاغة . ثم قرأت طرفا من الحكمة فى شرح
الدوانى على هياكل النور للسهروردى ، وشرح رسالة الزوراء
وغير ذلك . ولما رآنى مجدّا فى التحصيل ، قرر لى درسا ثانيا بعد
العشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها ، وأنا فى كلّ هذه المدة
أستوضح منه ماأشكل علىَّ فيحله لى ، فكان اجتماعى به ومصاحبتى
إياه من أكبر نعم الله علىَّ فى دينى ، وكثيرا ماكان يغضب منى
ويؤنبنى إذا رأى منى تهاونا فى الصلاة .

وكان من عاداته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحا للنفس ،
فكان يذهب إلى الأميرية من ضواحى القاهرة عند تلميذه الشيخ
عبد الرحمن فودة فيقضى عنده الخميس والجمعة ويعود يوم السبت ،
فلما عرفته صار يذهب للأميرية بعض الأخمسة ويسافر فى بعضها
إلى ضيعتنا التى بقويسنا أو إلى حلوان حينما نسكن بها شتاء ،
فكنت أقضى معه هذين اليومين فى مطالعة واشتغال ، حتى فى حالة
المشى والتنزه كنت أحمل الكتاب معى وأسمعه فيه ، فيقرر لى المسائل
ونحن سائران .

وكان رحمه الله سنىّ العقيدة ، صوفى المشرب . لا يحيد عن

الشرع قيد إصبع ، آخذًا بمذهب الإمام ابن تيمية فى مسئلة الاستغاثة بالقبور والاستشفاء بالموتى . منكرا على المبتدعة أشد إنكار ، آية من آيات الله فى معرفة التفسير وحل مشكلات الكتاب المبين ، متضلعا من الحديث ، متحصنا بالشريعة فى كل علم يقرؤه من كلام أو حكمة أو تصوف أو رياضيات أو طبيعيات . وخص باستحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى الاستشهاد بها على حل المشكلات الدينية ، فكان أمره فى ذلك عجبا ، وشأنه فيه مستغربا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ومع انحراف علماء الأزهر عنه لإنكاره عليهم بدعهم وما درجوا عليه فانهم كانوا مقرين بفضله ، وكثيرا ما كانوا يحتاجون إليه فى معرفة أسرار الشريعة ، وحل مشكلاتها ، والرد على الطاعنين عليها من أرباب النحل الأخرى أو المرتدين

أما أخلاقه فزهد غريب وعلو نفس عن الدنايا ، وبعد عن الرياء ، وتواضع مع كل إنسان ، وسذاجة فى المطعم والملبس والمسكن . لا ينفق على نفسه من مرتبه إلا القليل ويتصدق بالباقى فى الخفاء ، فلما مات قام الصراخ فى دور كثيرة يسكنها فقراء وأرامل ، كان يعولهم فى كل شهر بما فضل من نفقته ، وما علم بهم أحد حتى من أقرب الناس إليه وأخصهم به إلا بعد موته .

وكان كثير الاشتغال بأمور المسلمين ، دائم الهموم لما أصابهم من التأخر فى مشارق الأرض ومغاربها ، منتظرا فرجا يأتيهم ، ولطفا من الله يحفهم ، فتقوم فيهم دولة شعارها الدين ، تقوى على جمع شملهم . ولذلك لما قام المهدى بالسودان وانتصر انتصاراته المشهورة واستولى على البلاد السودانية ، أحسن المترجم فيه الظن وقام بنصرته بقلبه ولسانه ، حتى اضطر الإنكليز أن يسيّروا وراءه عينًا يخبرهم بحركاته وسكناته ، وكاد يقع فيما لا تحمد عقباه ، لولا أن سلمه الله .

ولمداومة اشتغاله بالإقراء وتربية النفوس لم يؤلف تأليفًا ، غير أن نظارة المعارف لما كلفت كل مدرس بجمع ما يلقيه من الدروس ، وكان يدرّس التفسير بمدرسة دار العلوم ، شرع فى جمع ذلك فى كتاب سماه « عنوان البيان » لم يطبع منه غير المقدمة سنة ١٣١٦ ، اى قبل وفاته بسنة

الشيخ احمد ابوخطوة

الحنفى

أحمد بن أحمد بن محمد بن حسب الله بن على بن محمد بن على ابن مدكور بن أبى خطوة المدفون فى مطوبس، ابن مدكور بن شكر ابن هاشم بن محمد ، وهو أول من نزل بكفر ربيع منهم ودفن به ، ابن سالم المدفون بالحدين بالبحيرة ، ابن موسى بن حسن بن أحمد ابن على بن شكر بن إبراهيم بن أحمد بن شاكر بن حسن بن على ابن محمد بن على بن السيد عبد الرحيم القنائى صاحب الضريح المشهور بقنا ابن هريدى بن جعفر بن حمّاد بن سعادة بن عبداللطيف القاسم ابن عبدالله بن عبد اللطيف بن هاشم بن عبد الجواد ابن محمد بن على الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب : هكذا أملى علىّ نسبه من لفظه . ولد فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٦٨ ببلدة كفر ربيع التابعة لتلا من أعمال المنوفية ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن وبعض المتون ، ثم سافر للقاهرة لطلب العلم بالأزهر فى ١٦ شوال سنة ١٢٨١ واشتغل فيه بالطلب وقراءة الفقه على مذهب الإمام الأعظم . ومن شيوخه الشيخ محمد البسيونى البيبانى ،

والشيخ أحمد الرفاعى الفيومى ، والشيخ عبد الرحمن البحراوى ، والشيخ عبد الله الدرستاوى ، والشيخ حسن الطويل .

وكان أكثر اشتغاله فى المعقول على الشيخ حسن الطويل ، ولازم صحبته وتخلق بأخلاقه ، وقرأ عليه بداره العلوم الحكمية والرياضية فتلقى عنه شرح الهداية للميبدى ، والطوالع ، وأكثر المقاصد والمواقف ، وإشارات ابن سينا بالشروح لنصير الدين الطوسى والإمام الرازى ، والمحاكمات ، وبعض كتاب النجاة لابن سينا وأشكال التأسيس بشروحها فى الهندسة . وتحرير أقليدس ، وفى الهيئة شرح الجغمينى ، وتذكرة نصير الدين الطوسى ، وفى الحساب خلاصة بهاء الدين العاملىّ بشرح البورصاوى ، والمعونة ، وشرح ابن الهائم وغيرها ، وفى المنطق القطب بحواشيه والمطالع والخبيصى وإيساغوجى ، وغير ذلك من هذه العلوم .

وامتحن للعالمية والتدريس فى ١٨ صفر سنة ١٢٩٣ وكان مجلس الامتحان مكوّنا من الشيخ عبد الرحمن البحراوى والشيخ عبد القادر الرافعى الحنفيين ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى والشيخ زين المرصفى الشافعيين ، والشيخ أحمد الرفاعى والشيخ أحمد الجيزاوى المالكيين ، برئاسة شيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية الشيخ محمد المهدى العباسى ، فلما امتحنوه أعجبوا به إعجابا شديدا لجودة تحصيله وشدة ذكائه فأجازوه ، إلا أنه أخر

التدريس لسبب اشتغاله بتتميم ما كان يقرؤه على شيخه الطويل .

ثم ابتدأ فى القراءة بالأزهر سنة ١٢٩٦ فقرأ به الكتب المتداولة به وغيرها ، وتخرج عليه جمع من الأفاضل،منهم السيد محمد شاكر والشيخ محمد حسنين العدوى ، والشيخ محمد بخاتى ، والشيخ سعيد الموجى ، والشيخ محمد الغرينى ، والشيخ مصطفى سلطان وغيرهم .

ثم جعل مفتيا لديوان الأوقاف،فكانت له اليد الطولى فى إصلاحه ، وعاون من به على تحسين أموره بجودة عقله وحسن رأيه ، وحسبك أنه دخله وإيراده مائة وعشرون ألف دينار وخرج منه وإيراده يربو على المائتين . ثم نقل عضوا فى المحكمة الشرعية الكبرى بالقاهرة ، ورأس المجلس العلمى للنظر والفصل فى القضايا الكبرى ، ثم انتدب للمحكمة العليا بعد ذلك فكانت له اليد الطولى فى إصلاحها ، ومنع شهادات الزور ، وإصلاح حال المحامين ، وكانت وفاته فى شوال سنة ١٣٢٤ (١) .

---

(١) فى هامش الأصل بخط المؤلف : «له ترجمة فى المقتبس ج ١ ص ٥٥١ تراجم» يريد مجلة كانت تصدر بهذا الاسم .

الشيخ محمد ابو الفتح الحنفي

مفتى الإسكندرية

ولد فى أوائل القرن الثالث عشر ، وطلب العلم بالأزهر على الشيخ الصــــاوى وغيره من شيوخ الوقت ، ثم انتقل لرشيد وتزوج بها بنت السيد عباسى من مشهورى رشيد . وكان ملازما للشيخ محمد البنّا الكبير ، فلما انتقل الشيخ إلى إسكندرية انتقل المترجم معه وبقى بها وانتخب أمينا لفتواها ، وكان مفتيها إذ ذاك الشيخ الدويرىّ ، ثم لما مات الدويرى تولى البناء الإفتاء ، فنقل المترجم لمنصب آخر ، ولما مات البناء تولى هو إفتاء الثغر وبقى به إلى أن مات . وكان له شغف زائد بجمع الكتب واقتناء نفائسها ، حتى اجتمعت له خزانة نفيسة بيعت بعد موته بثمن بخس . وكان رأى بناته وزوجته إبقاءها فلم يرض ولده ، فذهبت وتفرقت بعد ما عانى أبوه ماعانى فى شرائها واستنساخها . وكان له ولع أيضا بجمع الساعات فجمع منها نوادر وطرفا بيعت بعد موته أيضا ، ولم يترك شيئا من الحطام سوى دار باسكندرية كان يسكنها فى أواخر أيامه .

وكانت وفاته يوم الإثنين سادس شهر صفر سنة ١٢٩٤

ودفن يوم الثلاثاء ، ورثاه الشيخ عبد الرحمن الأبيارى قاضى اسكندرية بقصيدة مطلعها :

أهذى سيوف الدهر جرّدها الدهر
أم السنة الشهباء جفّ بها الزهر

ومن مؤلفاته : كتاب تبويب الأشباه والنظائر لابن نجيم ، وشرع فى كتاب آخر فى الفقه لم يكمله .

وكانت له يد طولى فى علم الميقات

وهو جدّ صاحبنا العالم الفاضل الشيخ حسن منصور لأمّه

ترجمة ابراهيم بك مرزوق

الشاعر

تلقى العلم بمدرسة الألسن ، وتخرج على ناظرها رفاعة بك رافع الشهير ، فقرأ بهذه المدرسة النحو والصرف وباقى علومها وبرع فى الفرنسية . وكان لرفاعة عناية خاصة فى تلقين تلاميذه العربية والعلوم الأدبية ، وتدريبهم على نظم الشعر ، فكان للمترجم حظ من هذه الصناعة : فنظم الشعر الجيد من المقطعات والقصائد اعتنى بجمعها بعده محمد سعيد بك ابن جعفر مظهر باشا سنة ١٢٨٧ فى ديوان سماه « الدر البهى المنسوق ، بديوان إبراهيم بك مرزوق» وطبع بمصر

ولما أتم المترجم علومه بالمدرسة استخدم فى ديوان كان يقال له (ديوان الهرجلات) وهو خاص ببيع الخيل والماشية التابعة للحكومة ، ثم نقل منه ناظرا للقلم الافرنجى بالضبطية ، وفصل منه مدة عبده باشا ضابط مصر ، ثم عاد إليه بعد نحو ثلاث سنوات .

وكانت مدة توليه لهذا القلم كثير المعاكسة للأفرنج . إذا وقع أحدهم فى سجن الضبطية أو كانت له دعوى بها قلَّما كان يسلم من أذاته ، حتى ضج منه وكلاء الدول وأكثروا من الشكوى ،

فلم يكن يثبت عليه شيء عند التحقيق، والسبب فى ذلك أنه كان يعتمد على إخوانه ومرؤوسيه بالضبطية على إيصال الأذى إليهم سرا ، نكاية بهم لطغيانهم على الرعية ، وتدرعهم بدروع الحمايات

وفى مدة وكالة إسماعيل باشا الخديو نقل المترجم معاونا بمجلس الأحكام ، ثم لما تولى هذا الخديو على مصر أرسله ناظرا للقلم الأفرنجى بالخرطوم قاعدة بلاد السودان ، فبقى إلى أن توفى بها سنة ١٢٨٣ .

وكان مربوع القامة ، أبيض اللون ، قد وخطه الشيب ، ومات بعد ما تجاوز الستين . رحمه الله تعالى

ترجمة الشيخ مصطفى سلامه

النجّارى

توفى والده وهو صغير ، فتكفل به زوج أمه ورباه ، فلما ترعرع مال للأدب،وقرض الشعر ، فاتصل بالشيخ على الدرويش وتخرج عليه فى النظم ، واتصل بعد ذلك بأسرة المويلحى ، ففتحوا له حانوتا بالتربيعة لبيع الحرير فلم يصادفه النجاح .

ثم جعل منشئا بالوقائع المصرية،ولم يزل يكافح زمنه حتى اتصل بوالى مصر سعيد باشا ، وصار شاعره وتقرب إليه ونال جوائزه ، فحسنت حاله،واجتمع بأكابر الدولة ومدحهم وداخلهم، فنال وجاهة وصار له شأن يذكر .

وجمع مانظمه فى مدح سعيد باشا فى ديوان خاص .

وهو الذى جمع ديوان أستاذه الدرويش ، وسماه : « الإشعار بحميد الأشعار »

ترجمة الشيخ محمد شهاب الدين

المصرى الشاعر

شريف النسب ، اشتغل أولا بالقبانة ، ثم دخل المحكمة الشرعية تلميذا للتعلم ، ومال للأدب ، ونظم الشعر ، وداخل الأعيان حتى اتصل بعباس باشا والى مصر ، وتقرب إليه ومدحه بالقصائد فأحبه وقربه حتى صار كبير جلسائه وندمائه ، وجعل له فى كل قصر من قصوره حجرة يبيت فيها الليلتين والثلاث إذا طلبه للمجالسة والمنادمة ، وأفاض عليه من نعمه ، وقبل شفاعته حتى صار له بذلك جاه طويل عريض . وله معه نوادر غريبة ، منها أن المترجم كان جالسا فى حجرته مرة فى أحد القصور ، ومعه بعض جلساء الوالى ينتظرون الإذن بالدخول إليه ، فقال فى عرض كلامه : يقولون إن البغلة لا تحمل ، أفلا يكون ذلك بسبب رطوبات أو ما أشبهها تعيق حملها ؟ وعند أفندينا أطباء كثيرون ، فلو أنه أطال الله بقاءه أمر بعضهم بالبحث فى سبب هذه العلة وإزالتها ، فلست أشك فى أنها تحمل بعد ذلك . وأسرع بعض العيون ، فبلّغ عباسا باشا كلامه ، فجاءه بعد هنيهة أحد رجال القصر يقول له : يا أستاذ يقول لك أفندينا إننا سنأمر الأطباء بما أشرت ، ولكن إذا لم

تحمل البغلة ماذا يكون ؟ فبهت القوم لنقل المجلس بهذه السرعة ، إلا المترجم ، فإنه وقف وقال : بلغ أفندينا أن عبده شهابا له كذبتان كل سنة أيام الباذنجان ، هذه إحداهما

وكان رحمه الله رقيق المزاج ،أنيس المحضر ، لا يمل جليسه من نوادره .

وتعلق بعلم الموسيقى فبرع فيه ،وأخذه عنه كثيرون، وجمع فيه كتابا «سماه سفينة الملك » وله ديوان شعر طبع بمصر ، وكانت وفاته سنة ١٢٧٤

ترجمة

الشيخ على الليثى

سيّد الندماء (١)

كان فى ابتداء أمره مقيما بمسجد الإمام الليث ، وكان ينزل إلى الأزهر لطلب العلم ، ويعود للمبيت هناك ، وكان كريمـًا على فقره . ثم ورد على مصر الشيخ السنوسىّ الكبير قاصدا الحجّ ، فاتصل به ، وأخذ عنه الطريق وحج معه ، ولما عاد إلى مصر لم يفارقه . بل سافر معه إلى جغبوب ، وأقام هناك مدة لم يفتأ فيها يطلب العلم ويستفيد ، ثم فارقه وعاد لمصر ، واتصل بأم عباس باشا الوالى فجعلته شيخا على مجلس دلائل الخيرات عندها . ثم اتصل أيضا بالأمير أحمد باشا رفعت ابن إبراهيم باشا الكبير . فاعتقد فيه ، وأطلعه على خزانة كتب عنده ، فاطّلع على ما فيها واستفاد منها . وبسبب سفره إلى جهة المغرب اتهموه بمعرفة الزايرجة والأوفاق . فلما تولى سعيد باشا على مصر ، أمر ضابط مصر عبده باشا بجمع من يأكلون أموال الناس بالباطل بهذه الخزعبلات ، ونفيهم إلى

---

(١) فى هامش الأصل بخط المؤلف : (ولد سنة ١٢٣٦ كما تحققته من بعض أفراد أسرته)

السودان ، فسيق المترجم معهم لما علق به من هذه التهمة ، فبقى فى السودان إلى أن عفى عنه وعاد لمصر .

ولما تولى إسماعيل باشا على مصر تلألأ نجم المترجم ، وبدأ سعده ، فاتصل به ، وقربه والشيخ عليا أبا النصر ، وجعلهما نديمين له كنديمى جذيمة ، وصار لا يصبر عنهما فى مجالس أنسه ، فكانا إذا حضرا تلك المجالس أزاحا الكلفة وتبسطا معه فى القول والتندير ، فكانت لهما فى ذلك من النوادر ما يملأ الأسفار . وقد بلغ من شغفه بهما أن خصص لهما قاعة بديوانه يجلسان بها كأنهما من المستخدمين فيه . وحدث مرة أن أمر بكتابة ألواح على باب كل قاعة فى الديوان ، ليُعرف من بها ، كقلم التشريفات ، وقلم التحريرات ونحوهما ، وسألهما العامل عم يكتبه على قاعتهما ، فقال المترجم : اكتب عليها : إنما نطعمكم لوجه الله ! وبسبب تقرب المترجم من الخديو قصده الناس فى الشفاعات عند الكبراء ، ونفع الله به خلقا كثيرا ، جزاه الله عن مسعاه خير جزاء .

ثم لما عزل الخديو ، وتولى ولده محمد توفيق باشا ، شغف أيضا بالمترجم وأحله محله من القبول . حتى كانت الفتنة العرابية وسفر الخديو إلى الإسكندرية ، فانضم المترجم إلى العرابيين اضطرارا أو اختيارا ، فلما عاد بعد الفتنة لم يؤاخذه ، وصفح عنه ، وقابله المترجم بقصيدة مطلعها :

كل حالٍ لضده يتحوّل فالزم الصبر إذ عليه المعول

تبرأ فيها من الفتنة ، وأبان عذره فى الانضمام إلى العرابيين ، وزاد بعد ذلك من الخديو قربا ، وخصوصا لمّا بنى قصره بحلوان فإنه كان إذا سافر إليه كل أسبوعين ، ركب من هناك سفينة بخارية وذهب بها إلى ضيعة المترجم التى بشرق أطفيح ، فيقيم عنده يوما ويتغدى فيها ، وهو شىء لا يفعله مع غيره . ولهذا السبب اعتنى المترجم بتلك الضيعة ، فغرس فيها البساتين والكروم ، وبنى قصرا صغيرا لنزول الخديو وحرمه وحاشيته ، ولم يزل هذا شأنه معه حتى مات الخديو ، فلم يكن له حظ مع ولده عباس باشا ، كما كان مع أبيه وجده ، فجعل أكثر إقامته بتلك الضيعة ، يشتغل باستغلالها ومطالعة كتبه ، فإذا حضر لمصر نزل بداره التى بجهة باب اللوق ، فيقيم بها أياما . ثم يعود ، ولم يزل كذلك حتى اعتلت صحته وطال مرضه أشهرا ، حتى توفاه الله إلى رحمته فى يوم السبت ١٠ شعبان سنة ١٣١٣ عن سن عالية ، وقد شبع من الأيام وشبعت منه ، ونال من العز والجاه إلى مماته مالم ينله غيره .

وكان رحمه الله آية فى حسن المجالسة ، محببًا إلى القلوب ، أديبا شاعرا ، حاضر الجواب ، فكه الحديث ، إذا عرفه إنسان تعلق به ، وكره مفارقته ، مع أنه كان دميم الصورة ، أطلس ، ليس فى وجهه إلا شارب خفيف ، وشعرات على ذقنه . ولما حضر لمصر

السلطان برغش ملك زنجبار ، ندبه الخديو إسماعيل باشا لمرافقته ومجالسته ، فلازمه مدة مقامه بالقاهرة ، وأعجب السلطان به إعجابا شديدا ، ثم لما عاد لبلاده ، صار يتعهده بالرسائل والهدايا من العنبر ونحوه كل سنة ، فيهدى هو بها أخصاءه وأصحابه . وكذلك ما كان ينتج ببساتينه من غرائب الفاكهة ، وأصناف الأعناب النادرة ، كان موقوفا جميعه على الهدايا لا يبيع منه شيئا . واقتنى خزانة كتب نفيسة اجتمعت له بالإهداء والشراء والاستنساخ ، وغالى فيها ، وبذل الأثمان العالية ، فجلبت له من الآفاق ، وعرفه تجار الكتب والورّاقون فخصوه بكل نفيس منها ، ثم لما مات اقتسمها ورثته ، وبقيت إلى الآن محبوسة تحت أيديهم لا ينتفع بها .

وكان أدباء مصر وفضلاؤها يقصدونه فى تلك الضيعة ، فينزلهم على الرحب والسعة ، ويقيمون عنده الأيام والأشهر ، وهو مقبل عليهم بكرم خُلقه ولطائفه ، ومحاضراته المستحسنة ، وقد يقيم الإنسان عنده شهرا أو أكثر ، وهو يؤنسه كل يوم بحديث جديد لا يعيده ، وبالجملة فقل أن يوجد مثله ، أو يجتمع لإنسان ما اجتمع له ، مع الورع والتقوى ، خصوصا فى أواخر أيامه . رحمه الله رحمة واسعة .

ترجمة الشيخ احمد وهبى (١)

كان طالب علم فقير ، ثم تزوج بإحدى الموسرات ، فحسنت حاله ، وفتح له حانوت طرابيش بالغورية، جعلها مجتمع الأدباء والشعراء، ولم ينجح فى التجارة فتركها .

وأخذه الشيخ مصطفى سلامه النجارى معه فى الوقائع المصرية ، وجعل محررا ثانيا بها ، ثم فصل . وتقلبت به الأحوال ، فاتصل بأسرة المويلحى . ثم بالشيخ على أبى النصر شاعر الخديو إسماعيل باشا ، فسعى له فى الاستخدام بنظارة المعارف ، فلم يوفق .

وكان طلبه العلم على الشيخ منصور كسّاب وغيره من شيوخ الوقت . وتعلق بالأدب ، ونظم الشعر الجيد :

---

(١) فى هامش الأصل بخط المؤلف : (وفاته سنة ١٢٧٣ كما فى ص ٣٣٠ من ديوان الشيخ شهاب)

ترجمة الشيخ احمد مفتاح

العالم الشاعر الناثر ، أحمد بن مفتاح بن هرون بن أبى النعاس ينتهى نسبه إلى عمار بضم العين المهملة وتخفيف الميم ، أحد العرب النازلين من الصفراء إلى أرض مصر حوالى القرن العاشر ، وبين أبى النعاس وعمار جدان أو ثلاثة ، ولما ورد عمار مصر قطن بأقليم منية ابن الخصيب فى صعيد مصر ، وقامت بين عرب تلك الجهة منازعة أدت إلى مقاتلة ، كان لجد المترجم أبى النعاس اليد الطولى فيها ، ويقال إنه حضر بعض الوقائع بدون سلاح ، ولقوته أمسك جحشا صغيرا من رجليه وضرب به حتى مات الجحش

وقطن هرون الجد الأدنى للمترجم فى بلدة على الشاطئ الغربى للنيل بأقليم المنية تابعة لبنى مزار ، أنشأها حسن بن عبد العزيز أحد أجداد المترجم من جهة والدته ، وهى بلدة صغيرة اشتهرت بين العامة باسم بنى عجيز محرفا عن أبى عزيز ، يعنون به حسن بن عبد العزيز مؤسسها ، على عادتهم فى تكنية الرجل باسم أبيه ، ومازال هرون المذكور بها حتى ولد له مفتاح أبو المترجم سنة ١٢٢٩ وكان فى هذه البلدة رجل اسمه على أبو محمد ، من أقارب والدة المترجم ، جعلته الحكومة شيخ المشايخ ، وهو لقب كان يطلق إذ ذاك

على من يحكم عدّة بلاد ، وكان جائرا فى معاملته ، فاعتدى على أناس من أهل البلد بالضرب حتى أشرفوا على الهلاك ، فاضطر بعض أهلها إلى الشكوى للمدير مستعينين بعلى أفندى الشريعى والد حسن باشا . وبعد التيا والتى ساعدوهم على الانفصال، فانفصلوا واختطوا بلدة أخرى شمالى أبى عزيز سنة ١٢٦٤ سموها نزلة عمرو ، وانتقل اليها هرون بولده أبى المترجم ، وبنى بها دارا كبيرة ، وبقى بها حتى مات بعد أن أسن ، وكان سديد الرأى يرجع إليه فى المشكلات

ثم سكن هذه البلدة بعد ولده مفتاح ، وتزوج بها وأعقب جميع أولاده ، وحج سنة ١٣٠٤ فأرخ حجه ولده المترجم بقوله:

حَجَّ مفتاح أبى معتمرا

سنة ١٣٠٤

ومات سنة ١٣٠٨ ، وكان طويلا خفيف اللحية ، وقد وخطها الشيب ، وكان اشتغاله بالزراعة دون غيرها ، ويتحرى الحلال فى كسبه ، ويقول الحق ولو على نفسه ، وتعلم القراءة والكتابة فى الكبر ولم يجدهما ، ولما وصل نعيه إلى ولده المترجم بالقاهرة رثاه على البديهة بقوله :

قضى والدى بالرغم منى وليتنى   سبقت لأمر ساورتنى غوائله
لقد عاش دهرا لم يشبه بريبة   حياة سخىّ فاض بالقوم نائله

وقام بعبء الدين والفضل صادقا   وما المرء إلا دينه وفضائله
عليه سلام كلما غاب كوكب   وسالت من الجفن القريح هو امله

وكانت ولادة المترجم ليلة السبت الرابع من شعبان سنة ١٢٧٤ ونشأ بالبلدة المذكورة فى حياطة والده، وابتدأ القراءة على الشيخ جاد المولى، فقرأ عليه القرآن وبعض المتون، ومكث بعدها نحو ثلاث سنوات، ثم حضر إلى القاهرة سنة ١٢٨٩ لطلب العلم بالجامع الأزهر، وتلقى عن شيوخ وقته، فقرأ النحو على الشيخ محمد الشعبونى المغربى، والشيخ عرفه سالم السفطى، والشيخ عبد الله الفيومى، والشيخ محمد البحيرى، والشيخ سالم البولاقى، والشيخ محمد الإنبابى، والفقه الحنفى على الشيخ عبد الرحمن السويسى، والشيخ صالح قرقوش، وحضر بعض دروس الأستاذ الكبير الشيخ محمد العباسى المهدى شيخ الجامع الأزهر ومفتى مصر إذذاك، والبيان على الشيخ عرفة، والشيخ على الجنائنى، والشيخ محمد البحيرى، وآداب البحث على الشيخ محمد البحيرى المذكور، والمنطق على الشيخ محمد عبده، والشيخ أحمد أبى خطوة، والشيخ سالم البولاقى، والشيخ محمد البحيرى، والعروض على الشيخ محمد موسى البجيرمى

وفى أثناء مجاورته كان مسافرا من بلدته إلى القاهرة فى سفينة كبيرة أيام زيادة النيل، ونزل يغتسل على سكان السفينة مع

جماعة فانحدر مع الماء فى وسط النيل ، وتبعه أحد المغتسلين لإنجاده فمازال سابحا حتى كلت سواعده وكاد يغرق ، ثم نجا وخرج على الشاطئ الغربى للنيل وأرسل له من بالسفينة زورقا وصل به إليها .
وسافر مرة من القاهرة عائدا إلى بلدته فى سفينة ، فتشاحن مع ربانها تشاحنا أدى إلى إخراجه منها ، فخرج إلى بلدة يقال لها الرقة باقليم بنى سويف ، ولا يملك شروى نقير ، سوى كتاب مخطوط رهنه فى أجرة القطار لبلدته وله نوادر كثيرة أمثال ذلك من المشى على القدمين مسافات بعيدة ، والمبيت على الطوى فى كل غدوة وروحة بين القاهرة وبلدته

وبعد أن قضى سبع سنوات بالأزهر مجدا فى طلب العلم ومباحثة الشيوخ ، عاد إلى بلدته ومكث بها نحو سنتين مشتغلا بحفظ الشعر ونظمه ، ولم يكن له بالأزهر كبير عناية به لانصرافه إلى تحصيل العلوم . ثم حضر إلى القاهرة ، ودخل مدرسة دار العلوم سنة ١٢٩٨ فأعاد بها معظم العلوم العربية مع الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المشهور بالمقدمة على الشيخ حسين المرصفى ، ثم خلفه فى تدريس اللغة العربية شيخنا الشيخ حسن الطويل فتلقى عنه بعض المثل السائر ، ورسالة ابن زيدون الهجوية ، والزوراء للجلال الدوّانى فى الحكمة ، وانتفع به كثيرا ، وقال فيه وفى الأستاذ المرصفى :

دار العلوم شكت فراق أبى الهدى   المرصفى الحبر أوحد ذا الزمن

فأجبتها حسن المعارف بعده   لاتجزعى إن الحسين أخو الحسن

وتلقى التفسير والحديث بالمدرسة عن الشيخ أحمد شرف الدين المرصفىّ، والفقه الحنفى عن الشيخ حسونة النواوى، والعلوم الطبيعية والرياضية على أساتذة آخرين بالمدرسة، ثم خرج منها بعد أن نال الشهادة الدالة على براعته سنة ١٣٠٢، فقال بعد مفارقته المدرسة مضمّنا:

دار العلوم نثرتِ نظم أحبة   كانوا بدورا فى سماء علاك
حتى بَلِى عهدى بهم وتغيروا   يادار غيرك البلى ومحاك

واشتغل بعد خروجه من المدرسة بالكتابة فى صحف الأخبار كالأعلام والقاهرة، وبالتدريس لبعض أناس منهم السيد توفيق البكرى، ولما اتصل به حسّن له خلع العمامة والجبة وإبدالها بالملابس الأفرنجية والطربوش، ثم فارقه واستخدم كاتبا بمحكمة بنى سويف الأهلية نحو عشرة أشهر، ثم انفصل وورد القاهرة فكتب فى المؤيد أياما قليلة، ثم امتحن للدخول بمدرسة دار العلوم مدرسا للإنشاء فحاز قصب السبق وعاد للعمامة والجبة، وأقام بها تسع سنين انتفع فيها الطلبة وتخرّج عليه كثيرون ممن يحسنون الكتابة الآن، ثم نقلوه بعد ذلك مدرسا للنحو بالمدارس الابتدائية فى الأقاليم، فحطوا من درجته إلا أنهم أبقوا له مرتبه. وكان أخيرا بمدرسة بنى سويف ومرض بها فأحيل على المعاش واختار

السكنى بالقاهرة ، وابتغى مكانا يعتزل فيه الخلق ويشتغل بالمطالعة وإتمام بعض تآليفه ، فاختار مصر الجديدة واكترى بها دارا صغيرة أقام فيها بمفرده مع خادم مسن كان يقضى له حاجاته من السوق ، ويقوم بتنظيف المكان ، وكان الشيخ مريضا بمرض يعرف عند الأطباء بتصلب الشرايين وهو لا يعلم بأمره ولا يهتم بنفسه ، حتى اشتد عليه أخيرا وهو يظنه ضيفا مرتحلا ، ثم تركه الخادم وعاد لبلده ، فبقى وحيدًا بالدار حتى أدركه أجله المحتوم فجأة والأبواب مغلقة عليه . وبقى أياما لا يعلم به أحد ، حتى ظهرت رائحته للجيران فأخبروا رجال الشرطة فحضروا وكسروا الأقفال فألفوه مائلا فى سريره ، وجزء من كتاب الأغانى ملقى بجانبه ، وكان ذلك يوم الأحد ٢٨ المحرم سنة ١٣٢٩ ، وقرر الطبيب أنه مضى على وفاته ثلاثة عشر يوما ، فنقلوه ودفنوه . تغمده الله برحمته

* * *

ولم يكن اشتغاله بالعلوم على السواء ، بل كان جلّ اعتنائه بمتن اللغة والشعر والنثر . فحفظ من اللغة مقدارا وافيا من الغريب وغيره ، وكلف بتصحيح شرح القاموس عند طبعه برمته فى المرة الثانية . وكان اشتغاله بالشعر فى الأزهر قليلا كما قدمنا ، ولم يبرع فيه إلا عند دخوله دار العلوم طالبا ، وقد أرّخ أول إجادته فيه بقوله:

أقول الشعر عن فكر سليم ١٢٩٨

ونظم بعد ذلك القصائد المتينة ، والمقطعات السمينة . وكان ينهج فيها منهج العرب لكثرة نظره فى دواوينها واقتناء الكثير منها استنساخا أو نسخا بيده ، ولو تم له الخيال الشعرى كما تمت له الديباجة وجزالة الألفاظ لكان أشعر أهل زمانه بلا منازع . ولما عاد الأمير محمود سامى باشا أشعر شعراء العصر من منفاه بسيلان ، وكان بعيد العهد بشعراء مصر ومن حدث منهم لم يعجبه إلا شعر المترجم فى رصانة البناء وسلامة التراكيب ، وأما نثره فتوأم شعره فى الأسلوب العربى ، وكان مولعا بالتضمين فيه من شطر عربى أو مثل سائر ، لا تكاد تخلو قطعة منه من ذلك .

وقد ترك من التآليف « رفع اللثام ، عن أسماء الضرغام » جمع فيه ما ينيف على خمسمائة اسم للأسد ، طبع بمصر ، و « مفتاح الأفكار ، فى النثر المختار » جمع فيه من مختار النثر من رسائل وخطب من الجاهلية إلى هذا العصر ، وهو كتاب جليل الفائدة . طبع بمصر أيضًا ، و « مفتاح الأفكار ، فى الشعر المختار » جمع به مختار الشعر من الجاهلية إلى عصرنا هذا ، لم يطبع ولم نطلع عليه ، وله ديوان حماسة من شعر العرب استدرك به على أبى تمام ما فاته ، و « مفتاح الإنشاء » لم يكمله ، وأخذ فى أواخر أيامه فى جمع شعره ونثره وترتيبه فى ديوان ، ولا أدرى ما فعل الدهر به .

وكان رحمه الله غريب الأطوار ، سريع الغضب سريع الرضا ،

مع صفاء الباطن ، له شذوذ فى أخلاقه يتحمله من عرفه وعاشره ، أسمر اللون ، أسود اللحية والشاربين كبيرهما ، أميل إلى الطول ، له هزة وتبختر فى مشيته لمرض كان أصابه فى ظهره ورجليه . ولما انتقل إلى مدارس الأقاليم صار يحضر إلى القاهرة فى فترات فينزل عندنا ، ويجتمع به إخوانه وأصدقاؤه فى ليال كنا نحييها بالمطارحات الأدبية وإنشاد الأشعار .

ومات ولم يعقب غير بنتين زوجهما فى حياته . ومن شعره قوله يرثى صديقه محمد بك بيرم ابن الشيخ بيرم التونسى ويعزى أخويه :

لقد مات فى سن الثلاثين بيرم ... فان كان قول فالرثاء المقدم
مضى سابقا سبق الجواد إلى المدى ... ولا يدرك الغايات إلا المطهم
فتى كان مثل السيف يفرى قرابه ... ويعجب منه الناظر المتوسم
فتى كان فى حاليه للمجد كاسبا ... كباد يرود العشب أو يتجرثم
فتى كان مثل الليث طلاع أنجد ... وكالفحل يحمى شوله وهو مقرم
فما بال هذا الفحل تقدع أنفه ... ولم ذل ذاك الضيغم المتأجم
وقد كان يرعى عهده وجواره ... فلا العهد منقوض ولا الجار مسلم
وقد كان مأوى لليتامى يظلهم ... إذا السنة الشهباء ظلت تجهم
وكان ذوو الحاجات منه بنجوة ... إذا ساقهم سيل من الذل مفعم
وما كان مجزاعا إذ الخطب عظه ... ولا وكلا يغشاه ما ليس يعلم
ولكن أخو جأش وحزم كلاهما ... أبر من السيف الجراز وأحكم

وماالطود ممنوع الذرى هضباته   أنفن فلم يفرع ذراهن أعصم
بنت فوقه الأسد الضوارى على الطوى   زبى يتقيها الصاعد المتجشم
بأثبت ركنا منه يوم عظيمة   وأوفر حلمًا والظنون تُرَجَّم
تسنم فى عقباه متنى وظيفة   هى القطر يتلوه من الغيث مسجم
وسلم تسليم البشاشة جاعلا   قصارى المطايا أن يقيم المسلم
فما كان إلا أن أناخ ببابه   من البين ركب لا يريم مخيم
فودع توديع امرئ غير راجع   سجيس الليالى أو يؤوب المثلّم
ليبك عليه ضارع طوحت به   يد الدهر واستهوته دهياء صيلم
يذكرنيه الخير والشر دائبا   إذا زاغ ظلام وصاح مظلَّم
وتعتادنى ذكراه للضيف كلما   طغت برمة أو مرجل يتهزم
فقدناه فقد الروض ماء غمامة   على ظمأ والقلب حران أهيم
فهل عهده العهد الذى هو راجع   ألا إنما عهد المنايا مُصرّم
وهل حلمه يوم القيامة حلمه   إذا خف رَضْوى واستحال يلملم
رمته شَعوب فاتقاها بصدره   وسهم المنايا فى المقاتل محكم
فلم يغن عنه فكره وهو صارم   ولا ذاد عنه عرفه وهو عيلم
عفاء على تلك الحياة فانها   تفاريق نهب بين قوم يقسم
فلوكان ردالموت يسطاع لانبرت   كماة لها قرع الظنابيب مغنم
إذا الشر أبدى ناجذيه حبتهم   أسود شرى أظفارها لا تقلم
ولكنه الموت الزؤام إذا عدا   تداعت لمأتاه زبيد وخثعم

متى يرم أشلاء العشيرة أغمضت ... حذام ولم يغن النطاسى حذيم
وليت المنايا أخطأته وصادفت ... عدى يبتغون الشر إما تيمموا
لهم سيرة فى السوء شتى فعالها ... ومن ذا يعانى السوء إلا المذمم
وعما قليل يزجر الدهر طيرهم ... فيغدو سنيحا وهو بالموت أشأم
ويطوون طى الثوب أخلقه البلى ... على غرة والدهر عرس ومأتم
فيا راكب السوداء فى البحر ترتمى ... على صفحات الماء والبحر خضرم
تمر كما مرت نعاج تعسفت ... رمال الفلا واليوم ضحيان يبسم
تسير فلا تلوى على ابن طريقة ... وترسو كما ذاق الغرار المهوم
إذا أنت ألقيت الرحال بتونس ... لدى معشر فى بهرة الحى خيموا
لهم أول فى السابقين وهضبة ... من العز شماء الذرى لا تسنم
هنالك فانزل عزهم بمحمد ... وقل له دمع يراق معندم
وقل غاب من ترجون فضل إيابه ... فليس لشىء آخر الدهر يقدم
هنالك تلقى الخيل حطت سروجها ... وخر لمنعاه البناء المهندم
وتلقى عذارى الحى شقت جيوبها ... عليه ودقت بينها العطر منشم
وكنتم ثلاثا فرق الدهر بينكم ... كأنكم اسم فى النداء مرخم
نعم إن ذاك السر مازال فيكما ... ولا عجب فالحرف فى الحرف مدغم
خذا بيد الصبر الجميل فانه ... هو السيف لا ينبو ولا يتثلم
ولا تحفلا للحزن يغشى فانما ... رسوم الأسى قفر لمن يتردم
ودوما على الأيام عنوان راحل ... طوته النوى طى الكتاب فيختم

بيان

وُجدت هذه التراجم فى دفتر بخط العلامة الكبير أحمد تيمور باشا، نور الله ضريحه . والدفتر كبير بائن الطول، ناصل الورق من أثر السنين ، والمكتوب منه نحو خُمْسِه . فقد بدأ المؤلف الكتابة فيه منذ صباه ، وسرد التراجم بغير ترتيب ، وربما أرسلها بترتيب حصوله على المعلومات ، واستيفائه أخبار المترجَم لهم

ويلاحظ أن من التراجم ما هو قصير ، ولاسيما بعض ما جاء فى أخريات الأوراق . وهذا مع أن المترجَم له قد يكون ممن تنفسح فيه مذاهب القول . وقد راعى المؤلف ذلك ، فترك مواضع لمن أوجز ترجمتهم ، عسى أن يستلحق فيها ما فات ، ويكمل ما نقص ، ولكن المواضع ظلت على حالها فارغة

ولم يستوعب المؤلف أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، وفاء بحق العنوان . والقول بأن أصحاب هذه التراجم صفوة الأعيان ، مما لا يرتاح إليه المؤرخ . فقد عرفت هذه الحقبة رجالات لم تكن شهرتهم فى فروع العلم والأدب أخفى من شهرة الذين تُرجم لهم فى هذه الأوراق

وليس من تأويل للايجاز الشديد فى بعض هؤلاء المترجمين وقلة عددهم جميعا ، إلا ما يؤيده عارفو الفقيد من أنه كان ينتوى المضىّ

فى إتمام كتابه على الوجه الشامل . ثم خشى ألا يستطيع الصراحة فى ترجمة من كانت له بهم أو ماتزال لأسرهم به صلات مودة ملحوظة الجانب . وبلغه مع هذا عتاب ممن لم يرضوا عما جاء فى تراجم ذوى قرباهم . فلم يملك لذلك كله إلا أن يطوى دفتره ، فلا يرجع إليه ، وأن يؤثر من الصمت ماهو الأشبه بكرمه وكرامته .

وقد عنينا ونحن نقدم هذه الأوراق للطبع ، أن نتابع ما كتب المؤلف حرفا بحرف ، وألا نغير من عبارته ماعسى أن يكون قد سبق به القلم ، مما لو رجع إليه المؤلف لغيّره . وإنما حرصنا على ذلك ليخرج الكتاب مرآة لمخطوطته ، فلابد للمنصف أن يضع نصب عينيه أن النسخة لم تكتب مرة أخرى فى حياة صاحبها بعد مراجعته وتحريره ، ليجلوها من بعد على الناس .

فأما قيمة الكتاب ، فهى كما يرى القارئ ، فيما حوى من تراجم نفيسة لأعلام تمخض عنهم عصرهم ، ولم تعرف ناشئتنا من حديث الكثير منهم إلا ماتتنفس به مجالس العلماء إذا شهدها الكهول . وسيعظم قدر هذه التراجم كلما تراخت بها الأيام

وقد رأينا أن نختم الكتاب بترجمة موجزة لمؤلفه ، كتبها الأستاذ حسن عبد الوهاب ، وهاهى ذى :

أحمد تيمور باشا

والده المرحوم إسماعيل باشا ابن محمد كاشف تيمور ابن إسماعيل ، تقلب فى الوظائف الكبيرة إلى أن كان رئيساً للديوان الخديوى فى عهد المغفور له إسماعيل باشا .

جده محمد كاشف تيمور كان ضابطاً فى جيش محمد على ، وساعده على إبادة دولة المماليك ، وترقى حتى كان والياً على الحجاز وتوفى سنة ١٢٦٢ هـ - ١٨٤٧ م :

مولده

ولد فى ٢٢ شعبان سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م ، وقد تلقى دروسه الأولية على مدرسين خصوصيين ، ثم تلقى اللغة العربية على المرحوم العلامة الشيخ رضوان محمد العالم الشهير فى علمى القراءات والرسم

ودرس اللغة الفرنسية بمدرسة كليبر وعلى الأستاذ عبيد بك حتى نبغ فيها مع نبوغه فى اللغتين التركية والفارسية

وتلقى علم المنطق وعلوما أخرى على الأستاذ الكبير الشيخ حسن الطويل ، ثم تلقى علم اللغة على اللغوى الثقة الشنقيطى الكبير فحضر عليه شرح المعلقات وغيره ، فكان يذهب إليه الفقيد فى

منزله ويتلقى الدرس عليه وهو جالس ، فكان حينما يشعر بألم ويبدل رجلا بأخرى، يقول له : لا تتألم يا أحمد، فقد كنا نقطع بالراحلة شهورا وراء البحث والاستقصاء عن مسألة علمية .

وظل مثابرًا على الدرس ومجالسة العلماء والأخذ عنهم حتى أصبح الحجة فى اللغة بعد الشنقيطى فى عصره ، والوحيد بعده .

ناديه بسراى درب سعادة

يرى السائر الآن فى شارع درب سعادة بجوار مسجد آسنبغا فضاء كبيرا هو سراى تيمور ، وقد كانت منتدى يؤمه شيوخ الأدب واللغة فى القاهرة للبحث والمناقشة فى المواد العلمية والأدبية أمثال المرحومين الشيخ أحمد مفتاح والعلامة الشيخ طاهر الجزائرلى الحجة الثقة فى المؤلفات العربية ، والمرحوم الشيخ محمد عبده ، ويحيى أفندى الأفغانى ، وأصدقاؤه الأجلاء السيد رافع والسيد محمد الببلاوى والشيخ حسن منصور والشيخ محمد شاكر ، وغيرهم كثيرون ممن يضيق المقام عن سرد أسمائهم .

وقصارى القول أن تلك الدار كانت كعبة العلماء والأدباء فى مصر والأقطار العربية . وما كتبه فى الصحف والمجلات من مباحث علمية وتنقيب عن حضارة العرب بأسلوب شيق وتمحيص للحقائق، أكبر دليل على ماله من أدب ونظر سديد فيما يعانيه من الأبحاث . وقد جمع خزانة كتب هى مفخرة مصر بل والشرق .

بدأ فى تكوين خزانته سنة ١٣١٩ﻫ (١٩٠١م) وقد كان لديه نواة صغيرة لها من جمعه أيضا ، وظل طوال تلك السنين ينقب عن النوادر من المخطوطات القيمة ويشتريها بأغلى الأثمان حتى اجتمعت لديه نوادر يندر وجود مثلها فى خزائن أخرى بل انفردت بتحف كثيرة

ويبلغ عدد كتبها ١٥٠٠٠ كتاب فى نحو ٢٠٠٠٠ مجلد غالبها خط ، جميعها مجلدة تجليدا متقنا ، واستنسخ فى عهده الأخير مجموعة صالحة من مكاتب أوروبا بالفوتوغرافيا . وبها القليل من المؤلفات الفرنسية والإنجليزية مما له علاقة بحضارة العرب أو تاريخ مصر ونشرات المجمع العلمى الفرنسى

وتمتاز هذه المكتبة بوفرة كتبها الخطيه وخاصة فى التاريخ واللغة ، ولعل القارئ يعجب إذا أكدت له أن هذا العدد من الكتب قد اطلع عليه رحمه الله وعلق عليه ملاحظات له ، مابين وفاة مؤلف أو بيان ذيول وضعت على الكتاب ، أو الإشارة إلى قوة المؤلف والاعتماد عليه فى النقل . هذا ما يتعلق بالكتب المطبوعة .

أما الكتب الخطية وهى أكبر قسم فيها ، فقد استنفدت منه مجهودا لايقدر عليه أشخاص . ومن يطلع على جميع الكتب الخطية يجدها مبتدأة بترجمة المؤلف ومنمرة ، ثم فهارس بالتراجم الواردة فيه والموضوعات المهمة وآخر بأسماء البلدان والأماكن

وبيان الكتب الواردة فيه ، ومن حبه للعلم ومساعدته على نشره لم يبخل على من أراد طبع بعض هذه الكتب بالترخيص له بالطبع مع فهارسه ، وهذا مشاهد فى كتاب الطالع السعيد للأدفوى المطبوع سنة ١٩١٤ فانه محلى بالفهارس التى أشرت إليها ، وكما حصل أخيرا من إعطائه مفتاح الخزانة . وهو مجموعة الفهارس التى وضعها لكتاب الخزانة للبغدادى إلى المطبعة السلفية لدرجها فى الطبعة الجديدة وفعلا طبعتها ، وأمثال هذا كثير

ومن اللطيف فى هذه المكتبة تدقيقه رحمه الله فى انتقاء كتبها فاذا اطلع مطلع على نسختين من كتاب ، فلابد وأن يكون هناك فرق بينهما ، كأن تكون هذه كتبت فى عصر المؤلف أو قرئت عليه ، والأخرى طبعت بمصر أو أوربا أو الهند

أما المجاميع الخطية فقد وضع لها فهارس بمشتملاتها ، وكل هذا المجهود بخطه

وكثيرا ما أعار المكاتب والمستشرقين أو استنسخ لهم لحسابه هدية منه ، كما أنه أعار دار الكتب الملكية بعض نفائس خزانته لتصوير نسخ منها ، مثل الأجزاء التى كانت تنقصها من كتاب عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى ، وما لديه منه بخط المؤلف ، وأخيرا أعارها الجزأين الأول والسابع من كتاب الضوء اللامع للسخاوى وتاريخ ابن الفرات الذى استنسخه من فينا بالفوتوغرافيا ، وسمح

للدار بتصوير الفهارس التى وضعها لكل جزء فى أوله ، وعدد أجزائه سبعة عشر جزءاً .

أما النفائس التى امتازت بها المكتبة فكثيرة ولا تسعها تلك العجالة ، ومن مميزات تلك المكتبة النادرة وجود توأقيع مئات من أكابر العلماء فى القرن السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر الهجرى ، وقد حصرها جميعها ، وبعد وفاته رحمه الله أهديت مكتبته إلى دار الكتب المصرية ، فأفردت لها مكانا خاصا بها .

مقالاته ومؤلفاته

كان رحمه الله دقيقا فى البحث والتمحيص ، وقد نشر مقالات كثيرة فى المؤيد والضياء والمقتطف والمقطم والأهرام والهلال والهندسة والزهراء والهداية الإسلامية ، وكلها فى حضارة العرب وتحقيقات تاريخية

فمن مقالاته الممتعة «الخلافة والسلطنة» نشرت فى المقطم سنة ١٩٢٢ ومنها «المهندسون الاسلاميون» نشرت تباعا فى السنة الثانية ١٩٢٢ والثالثة ١٩٢٣ من مجلة الهندسة ، وأيضا خص تلك المجلة بفصول قيمة من كتابه «التصوير عند العرب» فنشر منها «التصوير على الجدران» فى العدد الأول والعدد الثانى من السنة الثامنة يناير وفبراير سنة ١٩٢٨ «التماثيل المتحركة والمصوتة» فى

العددين ٣ و ٤ مارس وأبريل سنة ١٩٢٨ — وسبق أن نشر بمجلة الهلال الغراء مقالات عن التصوير عند العرب .

وقد انفردت مجلة الزهراء بنشر قسم كبير من مقالاته نذكر منها : بئر الثنيتين - حول تصحيح القاموس - شعر يزيد - دار ابن لقمان بالمنصورة - انتشار المذاهب الأربعة - الكرات العربية الأرضية والفلكية - الكتابات الدقيقة - غرائب أخرى فى الكتابة - لقب الطواشى - الطربوش وتاريخه - وصف ساعة المدرسة المستنصرية - المشتهى وتحقيق موضعه بالروضة .

ومن مقالاته التى كان يوافينا بها أخيرا (الآثار النبوية) خص بها مجلة الهداية الاسلامية ونشر منها تسع مقالات فى الأعداد محرم ، وربيع الثانى ، وجمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ، ورجب وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذى القعدة سنة ١٣٤٨ وظهر المقال العاشر فى عدد الحجة بعد وفاته رحمه الله ، تكلم فيه عن الآثار النبوية فى الأقطار الإسلامية باسهاب لم يسبق ، وتحقيق وتمحيص نادر ، وباقى هذا البحث معد للنشر أيضا .

وكلها مباحث تدل على سعة الاطلاع والتعمق فى البحث ، بل هى خلاصة معلوماته وعصارة أفكاره وآثار تنقيبه فى خلال السنين الماضية

والحق أنها رسائل فريدة وليست بمقالات ، وذلك لغزارة مادتها ودقة مباحثها التى لم تطرق من قبل .

مؤلفاته

هذه المؤلفات قسمان : ما نشر وما لم ينشر . أما مانشر فهو (١) تصحيح لسان العرب نشر القسم الأول منه سنة ١٣٣٤ هـ (٢) القسم الثانى من تصحيح لسان العرب نشر سنة ١٣٤٣ هـ (٣) تصحيح القاموس طبع سنة ١٣٤٣ هـ (٤) نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها طبعت سنة ١٣٤٤ (٥) رسالة فى الرتب والألقاب (٦) أبو العلاء المعرى (٧) أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (٨) اليزيدية (٩) تاريخ العلم العثمانى (١٠) قبر الإمام السيوطى وتحقيق موضعه (١١) لعب العرب

وأما ما لم ينشر ، فهو :

(١) التصوير عند العرب (٢) معجم اللغة العامية (٣) الأمثال العامية (٤) معجم الفوائد ، وهو فرائد متناثرة لها شأن فى مباحث الأدب والتاريخ

وفاته

فى الساعة الرابعة من صبيحة يوم السبت ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٨ — ٢٦ إبريل سنة ١٩٣٠ انتقل إلى رحمة الله تعالى فانطوى ذلك العلم الخفاق ، واندك ذلك الركن الركين ، وكان لنعيه رنة حزن وأسف جزعت لها القلوب وفاضت بالبكاء العيون إنا لله وإنا إليه راجعون . ودفن وقت الغروب بمقبرة عائلته المجاورة لقبر سيدنا الإمام الشافعى ، رحمه الله وطيب ثرى تربته

فهرس


Bibliotheca Alexandrina
0681889